العلاّمة السيّد محمّد سعيد الحبّوبي رمز التقوى والجهاد

محمّدكاظم المحمودی

چکیده: این گفتار، به زندگانی علمی، آثار، اشعار و مجاهدات سید محمد سعید حبّوبی نجفی (۱۲۶۶-۱۳۳۳ق) می پردازد. وی در محضر بزرگانی مانند میرزا حبیب الله رشتی، شیخ حسینقلی همدانی، شیخ محمد حسین کاظمی و شیخ محمد طه نجف درس آموخت. و بزرگانی مانند سید محسن حکیم و شیخ محمدرضا اصفهانی از محضر او درس آموختند. جنبه ادبی و شعری و نیز وجهه جهادی و اشعاری که در رثای او سروده شده، در این گفتار، بررسی شده است.

السيّد محمّد سعيد الحبّوبي

يتضمّن هذا المقال مقاربةً للسيرة العلميّة وآثار وأشعار وجهاد السيّد محمّد سعيد الحبّوبي النجفي (١٢٦٦-١٣٣٣ق).

تلقّى المترجَم له دروسه في محضر أساتذة عظام كالميرزا حبيب اللّه الرشتي والشيخ حسينقلي الهمداني والشيخ محمّد حسين الكاظمي والشيخ محمّد طه نجف، كما تتلمذ لديه العديد من الأعاظم كالسيّد محسن الحكيم والشيخ محمّد رضا الأصفهاني.

يتناول هذا المقال الجوانب الأدبيّة والشعريّة من سيرته، إضافة إلى الجانب الجهادي، والأشعار التي قيلت في رثائه.

المفردات الأساسيّة: الحبّوبي، السيّد محمّد سعيد؛ العراق، تاريخ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديّ؛ النجف، الحوزة العلميّة؛ الجهاد، علماء النجف.

١. نسبه الشريف:

هو أبو علي السيّد محمّد سعيد بن محمود بن قاسم بن كاظم بن حسين بن حمزة بن مصطفى ـ وهو جدّ آل حبّوبي ـ ابن جمال الدين بن رضا الدين بن سيف الدين بن رميثة بن رضا الدين بن محمّد عليّ بن عطيفة ـ جدّ آل عطيفة المعروفين ـ ابن رضا الدين بن علاء الدين بن مرتضى بن محمد بن حُميضة ـ شريف مكّة أبو محمّد عزّ الدين و هو الذي جاء إلى العراق سنة ٧١٨ وأخو رميثة الأوّل جدّ الملوك الذين حكموا الأُردن والعراق ـ بن أبي نما الأوّل نجم الدين محمد ـ المتوفّى سنة ٧٠١ ـ ابن الشريف أبي سعد الحسن سعيد الدين ـ المتوفّى سنة ٦٥١ ـ بن عليّ بن قتادة النابغة أبي عزيز ـ الأمير الذي ملك مكّة سنة ٥٩٧ ـ ابن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان أبي عبدالله بن علي بن أبي محمّد عبدالله بن أبي جعفر محمد ثعلب بن عبدالله الأكبر بن محمّد الأكبر الحراني الثائر بمكّة ابن أبي الحسن موسى الثاني الأبرش ابن العبد الصالح أبي محمّد عبدالله الرضا بن أبي الحسن موسى الجون بن أبي محمّد عبدالله المحض بن الحسن المثنّى بن الحسن المجتبى السبط عليه السلام.

٢. ولادته ونشأته:

ولد في النجف الأشرف في ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٦٦ في محلّة الحويش. وأُمّه بنت الحاج عبدالسادة الأعسم، وخاله العالم الأديب الشيخ عبّاس الأعسم (١٢٥٣ـ١٣١٣)، وبيت الأعسم من الأسر النجفية الكبيرة التي أنجبت عدداً من الفقهاء والشعراء، وهم فخذ من إحدى بطون حرب المقيمة في الحجاز، ويقال لهم: العسمان.

حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وهو لمّا يزل طفلاً، ثمّ درس الأدب على خاله، وهاجر إلى نجد إلى الحائل ليلحق ببني عمومته فاشتغل بالتجارة، وتعلّم فنون الفروسيّة والقتال، إضافة إلى كتب الأدب والحكمة والفقه حيث كان يتابعها عند أبيه.

عاد إلى مشهد أمير المؤمنين عام ١٢٨٤ بعد أربع سنوات وله دون العشرين، والتحق بالأندية الأدبية، فاشتهر ذكره وعلا أمره في الأوساط الأدبية لأكثر من عشرين سنة. إلاّ أنّه في أوائل العلم ١٣٠٦ ـ وبعد أن بلغ الأربعين من عمره ـ صمّم على ترك الشعر بتاتاً حتّى آخر عمره وكأنّه لم يكن شاعراً، وذلك فيما قيل بسبب ما قاله من قصيدة في رثاء الملّا محمّد باقر الإيرواني المتوفّى في ربيع الأوّل سنة ١٣٠٦، مطلعها:

لمحمّدٍ أبكي أم الأصحاب قد مات فانقلبوا على الأعقاب

حيث أوذي بسببها من الذين ظنّوا أنّ فيها تعريضاً بهم.

ثمّ تفرّغ بكلّ وجوده للعلوم العقلية والنقلية وتهذيب الأخلاق والاهتمام بقضايا الأُمّة حتّى آخر

رمق من حياته كما سيأتي.

وكان إمام جماعة يصلّي في الصحن الغروي في النجف تأتمّ به نخبة صالحة من المؤمنين والتجّار والكسبة.

٣. أُسرته:

وأُسرته ـ أعني آل الحبّوبي، وربما تلفظ بدون «ال» فيقال: آل حبّوبي ـ من الأُسر العلوية النجفية المعروفة، أصلهم من الحجاز كما تقدّم آنفاً، ولا يزال لهم هناك بنوعمّ وأقارب منهم آل السيّد عمران المجاورون للمدينة المنوّرة اليوم، وهم منتشرون في بعض البلدان العراقية كالسماوة والنعمانية وغيرهما، إلاّ أنّ القسم المهمّ منهم في النجف الأشرف، ومعظمهم تجّار يمتهنون بيع الأقمشة، وتشترك في النسب مع السادة آل العطّار في بغداد والكاظمية، والعائلة الهاشمية التي حكمت مكّة فالأُردن والعراق، وآل عطيفة وآل السيّد حيدر وهما في الكاظمية، وآل بحر العلوم في النجف، ولهم مع آل الجواهري وآل الطالقاني وغيرهما من الأُسر النجفية مصاهرة وخؤولة، وأشهرهم سيّدنا المجاهد العلاّمة السيّد محمّد سعيد الحبّوبي، بل هو عَلَمهم وتاج عزّهم ومجدهم، لكن مع ذلك نبغ فيهم جماعة نذكر بعض من عثرنا عليهم من أسمائهم:

٣ـ١. أبوه السيّد محمود بن قاسم:

الذي أمضى ابنه قسطاً من دراساته عليه.

٣ـ٢. ابنه السيّد علي (١٢٩٦ ـ ١٣٤١):

كان من الفضلاء والشعراء، اعتنى بطبع ديوان أبيه سنة ١٣٣١، وكان لخطاباته تأثير بالغ في ميادين الجهاد، درس على أبيه وغيره.

٣ـ٣. ابن أخيه السيّد محمود بن حسين (١٣٢٣ ـ ١٣٨٩):

درس في النجف الأشرف القراءة والكتابة ومبادىء الحساب والأدب والمنطق والفقه والأُصول، وانتخب عضواً إدارياً في جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف منذ تأسيسها ثمّ أصبح سكرتيرها، ثمّ أقام ببغداد، طبع الجزء الأوّل من ديوانه سنة ١٣٦٧، ويظهر منه قوّة أدبه، وله مجموعة موشحات ومجموعة رباعيات طبعت سنة ١٣٧٠، وجمع ديوان الشيخ جواد الشبيبي، وجمع مالم ينشر من ديوان عمّه السيّد محمّد سعيد.

وله آثار أُخرى، منها: قصيدة بعنوان فلسطين المجاهة، أنشأها سنة ١٩٣٥ م؛ وقصيدة في الحرب العالمية الثانية، وأُخرى في محنة العراق وبغداد، أنشأها سنة ١٩٤٠ م؛ وقصائد في رثاء العلاّمة الميرزا النائيني (المتوفّى سنة ١٣٥٥) والشيخ إبراهيم القريشي والشيخ محمّد جواد البلاغي، وعامة هذه القصائد جديرة بالنشر.

وانظر ترجمته في كتاب هكذا عرفتهم (ج ۳، ص ۹) لجعفر الخليلي.

۳ـ۴. ابن أخيه عبدالغني الحبّوبي (۱۳۴۲ـ...):

هو ابن السيّد حسين، ولد بالنجف الأشرف، وتخرّج من كلّية الحقوق سنة ۱۳۶۶ وصار محامياً، وسافر إلى مصر لمتابعة دراساته، وكانت له نشاطات تدريسية في اللغة والأدب في المتوسّطات الأهلية ببغداد والبصرة، وتأثّر بشعر عمّه، وتولّى الإشراف على طبع ونشر آثاره الشعرية والكتابة عنها.

۳ـ۵. أحمد الحبّوبي بن هادي (۱۳۵۳ـ...):

أحد الممهّدين لما سمّي بثورة ۱۴ تمّوز، وله كلام هام حول هذه الثورة وأُمور النكبة، وكان محامياً في النجف الأشرف ومسؤول فرع حزب الاستقلال فيها ومقرّر فرع قيادة جبهة الاتّحاد الوطنية وعضو ارتباط مع قيادة الجبهة ببغداد، والجبهة تشكّلت من عدّة أحزاب عام ۱۹۵۷ بعد أن خاضت صراعاً ضدّ نوري السعيد.

۳ـ۶. السيّد كاظم الحبّوبي (۱۳۳۰ـ...):

أديب كاتب من أُسرة التعليم في النجف، له كتاب المسائل الحسابية للمبتدئين، طبع سنة ۱۳۵۸ في ۱۸۲ صفحة في النجف الأشرف.

۳ـ۷. السيّد جعفر الحبّوبي بن السيّد يحيى (۱۳۳۸ـ...):

كاتب فاضل شاعر، درس في النجف الأشرف، وكتب وألّف.

۴. أساتذته:

تتلمذ ـ رحمه الله ـ على ثلّة من علماء عصره في الأدب والفقه والأُصول والأخلاق، نذكر من عثرنا على أسمائهم حسب حروف الهجاء:

۴ـ۱. الشيخ جعفر بن محمّد حسن الشرقي النجفي (۱۲۵۹ـ۱۳۰۹):

كان الشرقي مرجع الأُدباء في عصره، وكان السيّد الحبّوبي والسيّد حيدر الحلّي والحاج محمّد حسن كبّة والشيخ عبّاس الأعسم يراجعونه ويأخذون عنه لباب الأدب، وكان من المجتهدين الذين يستحقّون التقليد.

قال البحّاثة السيد محسن الأمين في ترجمة الشرقي هذا:

«في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة كانت في النجف دائرة علم وأدب تنتظم من الشيخ جعفر الشرقي والحبّوبي والحلّي، وعنها تأخذ تلامذة الأدب وطلاّب الفضيلة».[1]

وآل الشرقي من أُسر العلم والأدب في النجف، عُرفت أوائل القرن الثالث عشر ونبغ فيها جمع من العلماء والشعراء منهم الشيخ جعفر هذا، وكانت داره مجمع الأُدباء وموئل أهل العلم والفضل،

۱. أعيان الشيعة، ج ۴، ص ۱۷۴.

وكان مرشّحاً للزعامة الدينية.

۴ـ۲. الميرزا حبيب الله الرشتي (۱۲۳۴ـ۱۳۱۲).

قال الشيخ محمّد حرزالدين:

تتلمذ الحبّوبي على الأساتذة، فقد حضر الفقه والأُصول على الميرزا حبيب الله الرشتي والشيخ محمّد حسين الكاظمي والشيخ محمّد طه نجف والشيخ محمّد الشرابياني، وأخيراً حضر على الآغا رضا الهمداني صاحب مصباح الفقيه.[۲]

والرشتي هذا ترجم له جماعة من الأعلام، منهم البحّاثة آقابزرك الطهراني، وقال عنه:

عالم مؤسّس، ومحقّق مدقّق، من أكابر علماء عصره، وأساتذة فقهاء أوانه المشاهير، حضر أبحاث الشيخ مرتضى الأنصاري، ولمّا توفّي الأنصاري انتهى أمر التدريس إليه فكانت حوزته تعدّ بالمئات وأكثرهم من شيوخ العلماء وأفاضل الفقهاء، ولم يكن في زمانه أرقى منه تدريساً وأكثر منه نفعاً، حتّى أنّ أكثر العلماء المشاهير الذين نبغوا بعده في سائر المناطق الشيعية قد تخرّجوا عليه... وأمّا ورعه ونسكه وزهده فهو ما لا يحدّه القلم... وأمّا عبادته فقد حُكي أنّه ما طلع الفجر عليه وهو نائم منذ بلغ الحلم.[۳]

۴ـ۳. الشيخ حسين قلي الهمداني (۱۲۳۹ـ۱۳۱۱):

جاء في نقباء البشر:

أكمل الحبّوبي نفسه واستكمل مراتب الأخلاق على الأخلاقي الأكبر والأُستاذ الأعظم المولى الهمداني، وقد حدّثني الحبّوبي ـ غير مرّة ـ عن بعض قضايا شيخه وصفاته وأثر تربيته وتهذيبه في النفوس، وسرعة تأثير ذلك في تلامذته، ومن شملهم التوفيق للمثول بين يديه... وقد قضى بخدمته وتحت منبره وقتاً طويلاً، ولم يفته توفيق العمل بمعلوماته، ودرس عليه الرياضيات أيضاً.[۴]

وجاء في ترجمة الهمداني من الكتاب المتقدّم:

من أعاظم العلماء وأكابر فقهاء الشيعة وخاتمة علماء الأخلاق في عصره... وكان له درس في الأخلاق بداره صبيحة كلّ يوم، وبعده يدرّس الفقه والأُصول، وهو في خصوص هذا العلم أمر عظيم لا يحدّه وصف، فقد مضت حقبة طويلة لم يجد خلالها الزمن بمن يماثله في علم الأخلاق وتهذيب النفوس... فلم ينبغ بعده من يكون له نظيراً... وقد أدركت فريقاً كبيراً من تلاميذه الذين لازموه ليلاً ونهاراً حتّى حصلوا ما أرادوا وحظوا بالسعادة الأبدية، وقد طهّرهم من أوضار هذه الحياة حتّى قرنوا العلم بالعمل، فقد رأيت أثر تربيته الحسنة بيّناً عليه بادياً في سيماهم. وبالجملة، فإنّ له فضلاً كبيراً على أكثر علماء الطبقة التي تليه ممّن أدركنا فيض خدمته.[۵]

ووصفه تلميذه العلاّمة السيّد حسن الصدر في التكملة بقوله:

جمال السالكين، ونخبة الفقهاء الربّانيين، وعمدة الحكماء والمتكلّمين، وزبدة المحقّقين

۲. معارف الرجال، ج ۲، ص ۲۹۲.
۳. نقباء البشر، ج ۱، ص ۳۵۷ـ۳۵۹.
۴. نقباء البشر، ج ۲، ص ۸۱۷.
۵. نقباء البشر، ج ۲، ص ۶۷۴ـ۶۷۵.

الأُصوليين، كان من العلماء بالله وبأحكام الله، جالساً على كرسي الاستقامة، تشرق عليه أنوار الملكوت، عاشرته سنين في الليل والنهار، والحضر والسفر، ما رأيته ينطق إلاّ بالحكمة أو الكلمة النافعة، دائم المراقبة لربه، حاضراً بين يديه، كلٌّ كلّه حضور، وربما سكت في أثناء البحث والتدريس خوفاً من عروض الغفلة عن الحضور، والتكلّم في الله جلّ جلاله... ربّى جماعة من المؤمنين أخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة بالله... لم يكن في عصره أنفع منه لأهل العلم... لأنّه كان وحيد عصره في علوم المراقبة وأدب العبودية، توفي ﷺ في كربلاء، زائراً... ودفن في الحجرة المتصلة بالإيوان الكبير الشاهي الغربي من الصحن الشريف.[٦]

أقول: وبعد ذهاب الهيمنة الغربية على بلاد العتبات بسقوط صدّام آخر عملاء الغرب في العراق من ملوك ورؤساء، تمّ إظهار قبره في لوحة على يسار الداخل إلى الصحن الشريف من الباب الزينبي.

وفي أعيان الشيعة للسيّد الأمين العاملي عندما ترجم لنفسه آخر الكتاب وذكر رحلته إلى النجف:

ثمّ اكترينا داراً في محلّة الحويش، وكان جارنا الشيخ ملاّ حسين قلي الهمداني الفقيه العارف الأخلاقي المشهور... وكان جلّ تلاميذه العرفاء الصالحون وفيهم بعكس ذلك؛ لأن الحكمة كماء المطر اذا نزل على ما ثمره مرّ ازداد مرارة، وإذا نزل على ما ثمره حلو ازداد حلاوة.[٧]

وفي معارف الرجال: «وقرأ الحبّوبي العلوم الأخلاقية والعرفان على الآخوند ملاّ حسين قلي الهمداني».[٨]

٤. الشيخ محمّد حسين الكاظمي (١٢٣٠ـ١٣٠٨):

من أعاظم فقهاء عصره، مجتهد مؤسّس مدرّس، ولد بالكاظمية ونشأ بها، ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف وحضر على أبطال العلم بها كالشيخ حسن كاشف الغطاء وصاحب الجواهر والشيخ جواد ملاّ كتاب والشيخ محسن خنفر والشيخ الأنصاري... حتّى حاز مكانة سامية وعدّ من أنبه الفقهاء وأبعدهم غوراً، وتخرج عليه جمع من جهابذة المجتهدين، واشتهر أمره في الأصقاع فكان من مشاهير فقهاء العراق، ورجع إليه الناس بالتقليد، وقد حضر الحبّوبي درسه في الفقه والأُصول.

٤ـ٥. الشيخ آقارضا الهمداني (...ـ١٣٢٢):

جاء في ترجمته من نقباء البشر ما ملخّصه:

من أكابر العلماء المحقّقين، ومن مشاهير مراجع عصره، هاجر إلى سامراء فلازم درس السيّد المجدّد الشيرازي سنين طوالاً إلى أن اشتهر أمره، وعدّ من أعاظم تلاميذه وأبرعهم في الفقه وأطلعهم في الأصول... وهو من أزهد أهل عصره وأورعهم وأتقاهم...، وعلى جانب عظيم من طهارة القلب وسلامة الذات والبعد عن زخارف الدنيا، ورجع إليه الناس في التقليد بعد وفاة أستاذه سنة ١٣١٢.[٩]

هذا وسيأتي في عنوان ثناء العلماء عليه عن موسوعة النجف تلمذة الحبّوبي عليه، فلاحظ.

٦. تكملة أمل الآمل ج ٢، ص ٥٣٤، رقم ٦٣١.
٧. أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ٣٥١.
٨. معارف الرجال، ج ٢، ص ٢٩٣.
٩. نقباء البشر، ج ٢، ص ٧٧٦.

۴ـ۶. الشيخ محمّد طه نجف الحكم آبادي التبريزي النجفي (۱۲۴۱ـ۱۳۲۳):

مرجع كبير من مشاهير علماء عصره، نشأ على والده نشأة عالية، وتربّى في حجر العلم والفقاهة، وحضر درس الشيخ الأنصاري وغيره، وشارك في علوم عديدة، وحاز مراتب الكمال، وكان طويل الباع في العلوم الدينية والأدبية والتاريخ واللغة والحكمة والفقه والأُصول والحديث والرجال، وقد عُرف كما عرف رجال أُسرته بالورع والصلاح والزهد والعبادة وحسن الخلق والتواضع وسلامة الذات وطهارة النفس... ورجع الناس إليه في التقليد بعد وفاة الشيخ الكاظمي والمجدّد الشيرازي، وحاز المرجعية العامّة تقريباً. وكان الحبّوبي قد حضر عليه في الفقه والأُصول، وكان في الأواخر يحضر درسه تيمّناً وتبرّكاً، وكان من أساطين حضّار بحثه، وكان الشيخ طه يشيد به ويعظمه ويشركه في الحديث والبحث، ويتجه إليه في حال التقرير أكثر من غيره، كما صدرت منه في حقّه كلمات وشهادات دلّت على اجتهاده في الفقه وتضلّعه فيه، وخاطب الحبّوبي شيخه بقوله:

أبنت مدارك الأحكام حتّى أبنت لنا اللباب من القشور

۴ـ۷. خاله الشيخ عبّاس الأعسم النجفي (۱۲۵۳ـ۱۳۱۳):

عالم أديب، ولد بالنجف الأشرف وحضر الدروس العالية على المجدّد الشيرازي والميرزا حبيب الله الرشتي والسيّد حسين الكوهكمري والشيخ مهدي كاشف الغطاء وغيرهم، وحاز درجة سامية في علوم الدين، ونبغ في الأدب واشتهر بالقريض وأصبح يعدّ من شيوخه، وتخرّج عليه جماعة، منهم: ابن أُخته الحبّوبي والسيّد جعفر زوين.

وفي معارف الرجال: «وتخرّج الحبّوبي في الأدب على جماعة من أهل الفضل، منهم الشيخ عبّاس الأعسم ولازمه كثيراً».[۱۰]

۴ـ۸. الشيخ محمّد الشرابياني الآذربايجاني (۱۲۴۸ـ۱۳۲۳):

من كبار تلامذة السيّد حسين التُرك الكوهكمري، وله كتب في الفقه والأُصول، وقُلّد في آذربايجان والقفقاز بعد الميرزا الشيرازي، وكان حسن الأخلاق.

وقد أشار إلى تلمذة الحبّوبي عنده صديقه الشيخ محمّد حرزالدين وغيره.

۴ـ۹. والده السيّد محمود الحبّوبي:

قرأ عليه بعض كتب الأدب والحكمة والفقه.

۴ـ۱۰. الشيخ موسى آل شرارة العاملي (۱۲۶۷ـ۱۳۰۴):

جاء في تكملة أمل الآمل:

أنّه من حسنات العصر، فاضلاً في كلّ العلوم الإسلامية خصوصاً في الأدب والفقه وأصوله، وله إلمام بعلمي الكلام والحكمة، قوي الحافظة جدّاً، كثير التواضع، حسن المحاضرة، كثير المحبّة

۱۰. معارف الرجال، ج ۲، ص ۲۹۲.

لأهل العلم، أبي الطبع للغاية، عالي الهمّة.[11]

قال الحجّة الشيخ محمّدحسين كاشف الغطاء في ترجمته للسيّد الحبّوبي بهامش ديوان سحر بابل للسيّد جعفر الحلّي:

لازم العلاّمة الشهير الذي هو أحد نوابغ الدهر الشيخ موسى شرارة العاملي، الذي كان لأنفاسه أثر عظيم في حسن التربية والتعليم، فجعل السيّد ينمو نموّاً بديعاً، شعر وعلم، أريحيّة وتقى، انبساط وعفّة، خلاعة ووقار، خفّة روح باعتدال، طرب باستقامة.

٥. تلامذته:

٥ـ١. الشيخ جواد بن محمّد الشبيبي البطائحي النجفي (١٢٨١ـ١٣٦٣):

عالم جليل، وشيخ أُدباء العراق، ولد ببغداد ثمّ هاجر إلى النجف ثمّ إلى الشطرة حيث كان يقيم فيها جدّه لأُمّه العالم الفقيه والرئيس المطاع بتلك الديار الشيخ صادق إطميش فنشأ في كنف جدّه نشأة عالية، ثمّ عاد إلى النجف الأشرف فواصل فيها دراساته العليا في الفقه والأُصول والأدب على كبار العلماء، إلاّ أنّ اتّجاهه كان إلى الأدب أكثر فأخذ عن الشيخ محسن الخضري والشيخ جعفر الشرقي والسيّد الحبّوبي.

٥ـ٢. محمّدحسن سميسم اللامي النجفي (١٢٧٨ـ١٣٤٢):

هو من أُسرة عريقة تعرف بآل سميسم، وقد نبغ منها بعض العلماء والأُدباء، ولد هذا في النجف الأشرف ولازم السيّد الحبّوبي، وحضر على علماء وقته بلغ مكانة سامية من الفقه والأدب، وكان محمود السيرة، حسن الأخلاق.

٥ـ٣. أبو المجد محمد رضا النجفي الإصفهاني (١٢٨٧ـ١٣٦٢):

قال الطهراني في ترجمة الإصفهاني هذا من نقباء البشر:

فقد ولع بالقريض فصحب فريقاً من أعلامه يوم ذاك كالسيّد جعفر الحلّي (...ـ١٣١٥) وكان تخرّجه عليه... والسيّد إبراهيم الطباطبائي (...ـ١٣١٩)، والسيّد محمّدسعيد الحبّوبي... والشيخ محمّد السماوي وغيرهم، عاشر هؤلاء الأفذاذ زمناً طويلاً، ونازلهم في سائر الحلبات والأندية الأدبية النجفية حتّى برز بينهم مرموقاً بعين الإكبار والإعجاب والتقدير.[12]

٥ـ٤. السيّد عدنان بن السيّد شبّر البحراني (١٢٨٣ـ١٣٤٣):

عالم فقيه أُصولي أديب، تابع دراساته العليا في النجف الأشرف، واشتغل على العلماء مثل عمّه السيّد علي والميرزا حبيب الله الرشتي والشيخ محمّد طه والسيّد محمّدسعيد الحبّوبي.

٥ـ٥. السيّد محسن الحكيم (١٣٠٦ـ١٣٩٠):

الفقيه الكبير والمرجع الديني العام الذي انحصرت فيه المرجعيّة العامّة لعقد من الزمان تقريباً بعد

١١. راجع: أعيان الشيعة، ج ١٠، ص ١٧٢.
١٢. نقباء البشر، ج ٢، ص ٧٤٩.

وفاة السيّد البروجردي، وهو في غنىً عن التعريف بعلمه وعمله وأُسرته. جاء في ترجمته من أعيان الشيعة وغيرها أنّه حضر درس الملاّ كاظم الخراساني والآقا ضياء العراقي والشيخ علي باقر الجواهري والميرزا النائيني والسيّد محمّد سعيد الحبّوبي....

وعند ما قاد السيّد الحبّوبي جمهور المسلمين في جبهة الناصرية ضدّ العدوان البريطاني استصفى السيّد الحكيم لنفسه وصحبه معه وأولاه ثقته.

٦. أصدقاؤه:

ونذكر هنا بعض من عثرنا على ذكرهم في خلال البحث والتنقيب عن ترجمة سيّدنا الحبّوبي (قدّس الله سرّه) حسب حروف الهجاء:

٦ـ١. السيّد إبراهيم الطباطبائي (١٢٤٨ـ١٣١٩):

هو ابن السيد حسين بن رضا بن السيّد مهدي بحر العلوم، ولد في النجف الأشرف في أُسرة عريقة شامخة لازالت تؤتي ثمارها. قال الحبّوبي رحمه الله في رثاء والد السيّد إبراهيم:

وكفاك إبراهيم فهو فتى ... إن قال أصغى الدهر واستمعا
جوّالة في المجد سبقته ... إن ضاق ميدان له اتّسعا
مستيقظٌ للعزّ ناظره ... يخشى ويرجى ضرّ أو نفعا

٦ـ٢. السيّد جمال الدين الحسيني الهمداني الأسد آبادي الشهير بالأفغاني (١٢٥٤ـ١٣١٤):

جاء في موسوعة النجف الأشرف للدجيلي والخاقاني:

> هناك صفحات مشرقة من جهاد السيّد ما تزال بحاجة إلى دراسة، وإنّه كان فيما يبدو صاحب مشروع تغييري كبير، ولعلّ من عناوينه الكبرى حملته الجهادية ضدّ الإنكليز، وأُشير فقط إشارة عابرة إلى لقائه بالسيّد جمال الدين الأفغاني وعلاقته به، ومن ذلك لقاؤه معه في إحدى حجرات الصحن الشريف ليلة كاملة.[١٣]

وقال البحّاثة آقابزرك الطهراني في نقباء البشر في ترجمة السيّد جمال الدين ما ملخّصه:

> من أعاظم الفلاسفة وكبار رجال الشيعة المصلحين، من بيت علم وشرف ورياسة وجلالة في أسد آباد همدان... وسبب اشتهاره بالأفغاني منه فقد نسب إليها نفسه في مصر وما والاها تعمية للأمر، ورجاءً لبلوغ الهدف وحصول الغاية، ولولا ذلك لما سمّي بحكيم الإسلام وفيلسوف الشرق، ولاكانت له هذه الشهرة الواسعة، ولا أنزله الصدر الأعظم ـ علي باشا ـ في إستانبول منزل الكرامة والعزّة، ولا عظّمه ملوك عصره ووزراؤه، ولا عُيّن عضواً في مجلس المعارف، ولا عيّنت له حكومة مصر ألف قرش مصري شهرياً، ولا عكف عليه طلاّب مصر وفضلاؤها وأخذوا عنه، ولا اتّخذوه مرشداً موجّهاً ودليلاً هادياً، بل لشنّوا عليه الغارات، وألصقوا به أنواع الشبهات...

١٣. موسوعة النجف الأشرف، ج ١٧، ص ٣٩١.

ويكفي الشيعة الإمامية فخراً في قبال مصر ورجالها أن يكون معلّمها الأوّل ورئيس نهضتها الحديثة الشيخ محمّد عبده تلميذاً له... نشأ بأسد آباد ثمّ سافر إلى قزوين وطهران لمواصلة دراساته، ثمّ سافر إلى النجف سنة ۱۲۶۶ فدرس عند الشيخ مرتضى الأنصاري وغيره الفقه والأُصول والحديث والتفسير والكلام والهياة، وفي عام ۱۲۷۰ سافر إلى الهند ثمّ طاف العالم الإسلامي بأقطاره وجال غربي أوربا بأزياء مختلفة... وما وطئ بقدمه أرضاً إلاّ أوجد فيها ثورة فكرية لاتخبو نارها إلى الأبد... وكان يتقن من اللغات الفارسية والعربية والانجليزية والتركية والفرنسية....[۱۴]

۶ـ۳. الشيخ محمّد جواد البلاغي (۱۲۸۲ـ۱۳۵۲):

علاّمة جليل ومجاهد كبير ومؤلّف خبير، من مشاهير علماء الشيعة، وآل البلاغي من أقدم بيوتات النجف وأعرقها في العلم والفضل والأدب، قال الأُستاذ الفكيكي (۱۳۲۱ـ۱۳۸۹) في مقدّمة كتاب الهدى إلى دين المصطفى:

وكان من لدات الإمام وخلصائه المجاهد الكبير والشاعر النابغة السيّد محمّد سعيد الحبّوبي، وبعد وفاته رثاه البلاغي بقوله:

شاقك البرق فأسرعت سباقا وتركت الصبّ يلتاع اشتياقا

۶ـ۴. الحاج محمّد حسن بن الحاج محمّد صالح كبّة البغدادي (۱۲۶۹ـ۱۳۳۶):

جاء في ترجمته من الأعيان:

كانت له مساجلات أدبيه وشعرية مع كثير من الأُدباء والشعراء كالسيّد محمّد سعيد الحبّوبي والشيخ جعفر الشرقي وغيرهما من فضلاء عصره، وأكثر ماكان يقع ذلك في قصر أُسرته جنوبي بغداد، وكان ذلك القصر بمثابة ندوة أدبية يؤمّها الداني والقاصي من أهل الفضل والأدب، وكان موقع ذلك القصر على الضفّة الشرقية لنهر دجلة حيث الحدائق الغنّاء والرياض الفيح والجوّ الرائح الطلق، ممّا يلهم الشعور الحي والخيال السامي.[۱۵]

وفي ترجمته من نقباء البشر: «عالم جليل، وفقيه بارع، وأديب كبير... بلغ درجة الاجتهاد مع صلاح وسداد، وشهد له بذلك جماعة من فقهاء الإسلام...».[۱۶]

وفي ترجمة الحبّوبي منه: «اختصّ من بين معاصريه بالعلاّمة الشيخ محمّد حسن كبّة، فكثيراً ما كان يقصده إلى بغداد فيقيم عنده المدّة الطويلة».[۱۷]

۶ـ۵. السيّد عبّاس بن محمّد العاملي النجفي:

جاء في ترجمته من الأعيان:

كان عالماً فاضلاً، أديباً شاعراً، ذكيّاً فطناً، أبي النفس عالي الهمّة... سافر إلى الهند...

ثم انقطعت أخباره، وكانت له صداقة أكيدة مع الحاج محمّد حسن كبّة البغدادي والسيّد

۱۴. نقباء البشر، ج ۱، ص ۳۱۰ـ۳۱۳.
۱۵. أعيان الشيعة، ج ۹، ص ۱۷۴.
۱۶. نقباء البشر، ج ۱، ص ۴۰۱ـ۴۰۲.
۱۷. نقباء البشر، ج ۲، ص ۸۱۵.

محمّدسعيد الحبّوبي النجفي الشهيرين، وبينهم مراسلات ومحاضرات شعرية كثيرة... وأرسل إليه السيّد محمّدسعيد الحبّوبي كتاباً وقصيدة... فلمّا وصل الكتاب والقصيدة إلى السيّد عبّاس قال مقرضاً لها:

هذا نظامك يا فرد الكمال أتى ... كالروض جرّت عليه ذبلها الديم

جزل المعاني رقيق اللفظ موجزه ... يروق مبتدأ عنه ومختتم

في أبيات.[18]

۶ـ۶. الشيخ محسن الجواهري (۱۲۹۵ـ۱۳۵۵):

جاء في أحواله:

كان شديد البأس حازماً قويّاً على كلّ من يتعرّض للإسلام بأي تعريض، فعندما اندلعت الحرب العالمية الأُولى كان من الرعيل الأوّل الذي لبّى نداء الحقّ للدفاع عن الإسلام، فغادر النجف بمن أطاعه من المسلمين نحو قاعدة الجيش الإسلامي (الشعبية) وهناك التقى بالقائد الأعلى سماحة آية الله السيّد الحبّوبي فانضمّ إليه واستظلّ بلوائه.

۶ـ۷. الشيخ محمّد حرزالدين النجفي (۱۲۷۳ـ۱۳۶۵):

من بيت علم وأدب، تابع دراساته في النجف عند الشيخ إبراهيم الغراوي والشيخ محمّد الإيرواني والشيخ حبيب الله الرشتي والشيخ محمد حسين الكاظمي وغيرهم، وسيأتي قريباً ذكر صحبته له، وقد استفدنا من كتابه معارف الرجال في تنظيم هذه المقالة.

۶ـ۸. السيّد مهدي بن صالح الحكيم النجفي (...ـ۱۳۱۲):

هو والد المرجع الكبير السيّد محسن الحكيم، تفقّه بالميرزا الشيرازي والميرزا الرشتي والسيّد حسين التُرك والملاّ الخراساني والملاّ حسين قلي الهمداني وغيرهم.

ولاحظ ما سيأتي قريباً في ثناء العلماء عليه ممّا كتبناه عن الشيخ محمّد حرزالدين.

۶ـ۹. الشيخ موسى آل شرارة العاملي (۱۲۶۷ـ۱۳۰۴):

من كبار علماء لبنان نشأ بها وهاجر إلى النجف الأشرف لاستكمال دراسته، وصار يقرأ في الأُصول والفقه خارجاً عند علماء العرب والفرس، واختلط بالعراقيين اختلاطاً تامّاً أمثال السيّد محمّدسعيد الحبّوبي والشيخ أحمد ابن صاحب الجواهر والسيّدمهدي الحكيم والسيّد حسن الصدر وغيرهم.

هذا، وقد تقدّم ذكره في أساتذته أيضاً فلاحظ، ولاحظ ما سيأتي عن الشيخ محمّد حرزالدين قريباً في عنوان ثناء العلماء عليه.

۱۸. أعيان الشيعة، ج ۷، ص ۴۱۸ـ۴۱۹.

۷. عصر الحبّوبي وبيئته:

قال العلاّمة الكبير الشيخ محمّدرضا المظفّر في مقدّمته القيّمة على جواهر الكلام في سياق كلام له عن الظروف الحاكمة آنذاك:

كانت الحركة العلمية ـ في عهد صاحب الجواهر المتوفّى سنة ۱۲۶۶ ـ في القمّة من الحركات العلمية التي امتاز بها القرن الثالث عشر الهجري في خصوص النجف الأشرف وكربلاء، فإنّ النهضة العلمية التجديدية في الفقه وأُصوله ـ بعد الفتور العامّ الذي أصابها في القرن الحادي عشر وأكثر الثاني عشر ـ ابتدأت في كربلاء على يد المؤسّس العظيم محمّدباقر الوحيد البهبهاني (۱۱۱۶ـ۱۲۰۵).

وبقيت النجف بعد الوحيد البهبهاني تنازع كربلاء وتشاطرها الحركة العلمية بفضل تلميذيه العظيمين السيدمهدي بحرالعلوم (م ۱۲۱۲) والشيخ جعفركاشف الغطاء (م ۱۲۲۸)... وإن كانت كربلاء بقيت محافظة على مركزها الأوّل حتّى وفاة المربّي العظيم المعروف بـ «شريف العلماء» المازندراني (م ۱۲۴۵) الذي قيل إنّ حضّار درسه كانوا يبلغون ألف طالب، وكفى أنّ أحد طلاّبه الشيخ مرتضى الأنصاري.

وبوفاة شريف العلماء اتّجهت الأنظار صوب النجف لوجود الشيخ صاحب الجواهر... ولعلّ هناك أسباباً أُخرى لهذا التحوّل، ولا يبعد أنّ من أهمّها أنّ كربلاء بالخصوص كانت عرضة للغارات السعودية وضغط الحكومة العثمانية وتعدّياتها.

وبلغت [الحركة العلمية] غاية ازدهارها في النجف في عصر صاحب الجواهر والشيخ الأنصاري (۱۲۱۴ـ۱۲۸۱) الذي أنسى الأوّلين والآخرين...، فازدحمت بروّاد العلم من كلّ حدب وصوب لاسيّما من القطر الايراني...، ومردّ ذلك هو الاستقرار السياسي وفترة السلم التي سادت في البلاد الإسلامية يومئذٍ لاسيّما بين الدولة العثمانية والإيرانية....

وقدكانت النجف أصبحت في أمان من غارات الوهّابيّين بسببين: الأوّل: تسليح أهلها لاسيّما رجال الدين بأمر وإشراف الشيخ جعفركاشف الغطاء... الثاني: بناية سورها الأخير والخندق حوله الذي أنفق عليه مبالغ طائلة خيالية في ذلك العصر الصدر الأعظم نظام الدولة جدّ أُسرة آل نظام النجفية. ويومئذكان وزيراً لفتح علي شاه، وقد تمّ بناؤه سنة ۱۲۶۶، فصارت النجف قلعة حصينة لاتستطيع أيّة قوّة في ذلك العصر أن تقتحمها، وبسببه استطاعت أن تقاوم الجيوش البريطانية أكثر من شهر في حصار النجف المعروف سنة ۱۳۳۶....

و(لمّا) اطمأنّت النجف على سلامتها من عادية الوهّابيين من جهة، وعادية الحكومة العثمانية من جهة أُخرى، لاسيّما بعد وساطة النجف (بين الدولة العثمانية والقاجارية) على يد الشيخ جعفر كاشف الغطاء ونجاحها لفكّ أسرى الدولة العثمانية لدى الحكومة الإيرانية ابتدأت حياة الاستقرار والاطمئنان فيها تزدهر عند سكّانها والمهاجرين إليها، ونشطت فيها أيضاً تبعاً لذلك الحياة الاقتصادية، ونشط العمل لجب المياه من الفرات إليها بشتّى الوسائل، وازدادت الهجرة إليها من

أهل العلم زيادة ملحوظة، وانصرف أهل العلم إلى التحصيل والجدّ والدرس والتدريس والتأليف.
وإلى جانب ذلك نشطت الحركة الأدبية أيضاً نشاطاً لمتعهده البلاد الإسلامية كلّها بعد القرن الخامس الهجري، فنبغ في القرن الثالث عشر بالنجف والحلّة أيضاً شعراء هم في الدرجة الأُولى من الشعر العربي، وفي الطليعة من شعراء كافّة العصور الإسلامية، كشعراء آل الأعسم وآل محيي الدين وآل النحوي والشيخ عبّاس الملاّ علي، ثمّ طبقة السيّد حيدر الحلّي والشيخ محسن الخضري والسيّد جعفر الحلّي، ومن إليهم ممّن جاء تلوهم من طبقة المجاهد الحجّة السيّد محمّد سعيد الحبّوبي والسيّد إبراهيم بحر العلوم الذين كانوا من نوابغ القرنين الثالث عشر والرابع عشر.

ولا شكّ أنّ نشاط الحركة الأدبية كان من نتائج ازدهار النجف بالعلم والعلماء، واستقرارها من نواحي الأمان والحياة الاقتصادية، فكثرت محافلها ومجالسها والمباريات الأدبية، وتوطّدت فيها البيوت العلمية وتوطّنت.

وجميع هذا ممّا ساعد على ظهور نوابغ في العلم هم في جبين الدهر غرّة بيضاء مشرقة، وفي صفحات القرون صفحة مليئة بالمعرفة، مرصونة بالآثار العلمية القيّمة...، واستمرّ هذا الارتفاع في الأرقام العلمية للمؤلّفات والعلماء حتّى القرن الرابع عشر الذي ورثنا فيه ذلك المجد العلمي والأدبي.

ولولا الوباء الكاسح الذي كان ينتاب العراق والنجف بالخصوص بين آونة وأُخرى، ولولا فتنة الشمرت والزكرت التي استفحلت بالنجف في تلك العهود وصارت سبباً لفلق السكّان الدائم وخطراً على الأرواح والأموال وكرامة الناس لكان للنجف شأن آخر لم يحلم به المقدر.[١٩]

وقال شهيد المحراب العلاّمة السيّد محمّدباقر الحكيم في تقديمه على كتاب دليل الناسك للمرجع الديني الكبير الإمام السيّد محسن الحكيم رحمهما الله حينما تحدّث عمّا ألمّ بالأُمّة الإسلامية من أحداث في القرن الرابع عشر:

اقترن عصره بأحداث فريدة في التاريخ الإسلامي والعالمي وهي أحداث سقوط الدولة الإسلامية الكبرى، والحرب العالمية الأُولى والثانية، والغزو الثقافي والفكري الواسع للعالم الإسلامي، والاحتلال العسكري للعالم الإسلامي بشكل عام، ووقوعه في قبضة الفكر العالمي سياسياً واقتصادياً وعسكرياً... وكانت النجف تعتبر إلى وقت قريب أهمّ حاضرة علمية دينية لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام، سواء على المستوى العلمي أم المعنوي أم الروحي أم الكثافة والنشاط الديني والسياسي، من حركة الإصلاح الإسلامي في عصر الميرزا (محمّدحسن) الشيرازي، إلى حركة المشروطة التي قادها الشيخ محمّدكاظم الآخوند الخراساني، والمطالبة بتقييد السلطات المطلقة للحاكم بالدستور، وكذلك التحوّلات السياسية نحو القومية والوطنية، ثمّ حركة التحرر والانعتاق من الهيمنة الأجنبية بكلّ أشكالها والتي قادها الميرزا محمّدتقي الشيرازي وطلابه وأتباعه.

١٩. جواهر الكلام، ج ١، ص ٨-١٣، من مقدمة الكتاب.

والعراق كذلك يمثّل من الناحية الجغرافية والديموغرافية والسياسية والاقتصادية والدينية موقعاً متميّزاً، لانكاد نجد له نظيراً في العالم الإسلامي. فهو على الحدود الشرقية للعالم العربي، ومنتهى الخليج الفارسي، ويتكوّن سكّانه من أغلبية عربية شيعية مضطهدة عبر التاريخ الإسلامي، مجاورة لإيران الشيعية، إلى جانب أقلية عربية سنيّة، لها عمق تاريخي وبشري، يتمثّل بالحكم العثماني الحنفي السنّي، وبالعالم العربي ذي الأغلبية السنيّة، وإلى جانب الشعب العربي في العراق، توجد قوميّات تمثّل القوميات الرئيسية في العالم الإسلامي: الكُرد والتُرك والفرس، مع أقليّات دينية يهودية، ومسيحية، وصابئة، بالإضافة إلى الرافدين دجلة والفرات ومعادن النفط... والكبريت وغيرها. وإلى جانب ذلك العتبات المقدّسة لأئمّة أهل البيت عليهم السلام في النجف الأشرف وكربلاء والكاظمين وسامراء، وغيرهم من أئمّة ورجال علماء المسلمين والشخصيات التي تحظى باحترام وتقدير خاصين كميثم التمّار وزيد بن علي بن الحسين عليهما السلام، والسيد محمد بن الإمام الهادي عليه السلام إنّ كلّ هذه الأبعاد والجوانب والآفاق يمكن أن تلقي بظلالها على شخصية الإمام الحكيم عندما يكون له هذا الموقع السياسي والاجتماعي والعلمي والديني الهام، وهو موقع المرجع الأعلى لأتباع أهل البيت عليهم السلام وفي مثل هذه الظروف الخاصّة.[٢٠]

وقال البحّاثة الشيخ آقا بزرك الطهراني في كتابه القيّم نقباء البشر:

وكانت النجف في أواخر القرن الثالث عشر تضمّ فريقاً كبيراً من ملوك الشعر وأئمّة الفصاحة وأعلام الأدب وشيوخ القريض، ناهيك بمثل السيّد موسى الطالقاني والشيخ عبّاس القرشي والشيخ محسن الخضري والسيّد جعفر الحلّي والسيّد إبراهيم الطباطبائي وغيرهم، كما كانت الحلّة تنهض بقسط وافر من ذلك وتضمّ زمرة صالحة من أمثالهم وعلى رأس أولئك مقدّمهم شاعر الرثاء السيّد حيدر الحلّي (رحمهم الله جميعاً) شارك «الحبّوبي» هؤلاء الأفذاذ وغيرهم في الحفلات والمناسبات والأندية النجفية، وساجلهم وطارحهم حتّى ظهرت لهم مواهبه وبانت قابليته، فاحتلّ المكانة اللائقة به بينهم، وشهدوا له بالنبوغ والعبقرية والجدارة والاستحقاق.[٢١]

وجاء في مقدّمة كتاب الهدى إلى دين المصطفى بقلم المحقّق الأُستاذ السيّد توفيق الفكيكي المحامي عند الإشادة بشعر البلاغي قال:

إنّه لا يزاحم من حيث القوّة الشاعرية المبدعة التي امتازت بها الطبقة الأُولى من فحول شعراء عصره كالسيّد إبراهيم الطباطبائي والسيّد موسى الطالقاني والسيّد المجاهد العلاّمة الكبير والشاعر الشهير السيّد محمّد سعيد الحبّوبي والشاعر الرقيق السيّد جعفر الحلّي وشاعر الرثاء والحماسة المخترج السيّد حيدر الحلّي....

وقال قبله أيضاً في إشارة منه إلى الغزو الثقافي الغربي الصليبي لبلاد المسلمين:

لم تقتصر هذه المرّة على الميادين العسكرية، وإنّما استهدفت غزو العقول والأفكار

٢٠. دليل الناسك، ص ٩ ـ ١٠.
٢١. نقباء البشر، ج ٢، ص ٨١٥.

والأرواح، وهذا أخطر وسائل الفناء للأُمم ومحوها من عالم الوجود، وفي سبيل هذه الغايات الاستعمارية الفكرية قام دهاقين السياسة الغربيّة على عقد المعاهدات السرّية لتقسيم الأقاليم الإسلامية، وتشويه عقيدة الإسلام أو سلبها من صدور الشباب حتّى قال أحدهم: إنّنا إن أخفقنا في تنصير شباب المسلمين فحسبنا زرع بذور الشكوك في عقيدتهم وإفساد قلوبهم نحو القرآن.[٢٢]

أقول: وفي حوالي سنة ١٢٩٠ كانت الحرب بين الدولة الروسية والدولة العثمانية، ووقع الناس في شدّة وضيق، وغُلبت الدولة العثمانية التي أماتت عواطف الشهامة والحمية في الناس، ودخل الروس بحر إستانبول فردّهم أسطول الإنكليز، وأخذ الإنكليز مقابل ذلك جزيرة قبرص، وأعلنت الدولة العثمانية إفلاسها.

ولم تكن دولة القاجار الإيرانية بأحسن حالاً منها، فقد بدأت تنقص من أطرافها في مواجهات بينها وبين الروس وبين الإنكليز، فافتقدت بلاداً شاسعة من جنوبها وشرقها وشمالها مثل هرات وتركمنستان وآذربايجان و... وبدأت حالا التداعي من داخلها بسبب ضعف اياداتها وتغلغل الأعداء في صفوفها.

ووقعت الحرب العالمية الأُولى من سنة ١٣٣٢ إلى سنة ١٣٣٦، والعالم الإسلامي يعيش حالة الاحتضار، وتفشّى فيها بسبب المتحاربين القحط والغلاء والوباء فأباد الكثير من أبناء الأُمة، وكان المتحاربون ينظرون إلى أشلاء الأُمّة نظر الوحوش الكاسرة إلى ضحيتها، وكلّ همّهم أن يقتطعوا شيئاً من هذه الضحية الكبرى خاصّة وأنّها تحتلّ موقعاً استراتيجياً لا تحتلّه أيّة ديانة في العالم.

وأقبل الغربيّون بقضّهم وقضيضهم وخاصّة بعد ما فتح لهم في العلوم السياسية والصناعية والعسكرية مالم يفتح لأسلافهم، فألقوا بكلّ ثقلهم على الساحة مع غزو فكري مكثّف وتحت عناوين برّاقة مثل الحرّية والوطن والاستقلال والقومية وما إلى ذلك، مستغلّين في نفس الوقت كلّ جهات الضعف الموجودة في داخل المجتمع الإسلامي وفي مقدّمتها جهل عامّة الناس وسذاجتهم انصياعهم لأُمراء العشائر أكثر من انصياعهم إلى أولياء دينهم، إضافة إلى التصرّفات المقيتة السيّئة لعامّة الحكّام من ظلم واستبداد وإجحاف طائفي وقومي واستغلال الثروات واتباع الشهوات وغيرها، فأثار الغرب النعرات الطائفية والتكتلات الحزبية والانتماءات العشائرية، حتّى مزّقوا وحدة الأُمّة، وقسّموها إلى دويلات تتحكّم عليها فئات متظاهرون بشعارات طنّانة، لا تمت إلى القيم الإنسانية والإسلامية بصلة، بل كان نهجها الإرهاب والإرعاب والديكتاتورية، وتعكير الأجواء وأخذ البري بالسقيم وتغيير معالم البلاد والعباد، بل وحتّى تغيير أسماء الدول والبلاد إلى أسماء عائلية وكأنّه ميراث لهم.

فتقطّعت الدولة العثمانية إلى عدّة دويلات يتحكّم فيها دول شتّى يتعاقبون عليها تعاقب الرخمان

٢٢. الهدى إلى دين المصطفى، ص ١٧.

وفي مقدّمتها الإنكليز وفرنسا وروسيا، وصارت مركز هذه الدولة وهي ما سمّيت بـ«تركيا» فيما بعد لعبة بيد الليبراليّين الملحدين المتغطرسين الذين سنّوا القانون على أساس محو الإسلام حتّى صار الالتزام بالدين ذنباً لا يغفر.

كما أُطيح بالدولة القاجارية بواسطة البهلوي عميل البريطانيّين الذي كان كشقيقه مصطفى أتاتورك حارب كلّ مظاهر الإسلام بكلّ عنفٍ ووحشية، لكن المقاومة الإسلامية هنا وبفضل تواجد الأكثرية الساحقة لأتباع أهل البيت عليهم السلام والتفاتهم حول المرجعية الدينية كانت أشدّ ممّا كان في تركيا.

وصار الغرب وليس لهم همٌّ سوى تدمير البنى التحتية للأُمة والنيل من كرامتها وهدم آثار الإسلام فهدموا قبور البقيع وقبر حمزة سيّد الشهداء وغيرها من قبور الأولياء والأصحاب، بل راموا حتّى هدم قبر رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ أنّ الأُمة بمختلف طوائفها وقفت بشدّة أمام هذا ممّا جعل عملاء الاستعمار يتراجعون عن قرارهم، ومنعوا النساء من ارتداء الحجاب في الكثير من الأقطار، ومنعوا تبليغ الإسلام بل وحتّى التزيي بالأزياء الإسلامية مثل العمامة وغيرها، وأفشوا الخمور والفجور والسفور والفساد الخلقي، وأثاروا الشكوك في معتقدات الناس مثل الوحي والقرآن وما يتبعها، ورسموا حدوداً سياسية جديدة، وصهروا الناس في قوالب لم يألفوها من قبل، وتحت عناوين برّاقة لإبعادهم عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، وروّجوا الخرافات والبدع في الدين مستهدفين بذلك الأُمة من داخلها، وجرّوهم إلى خوض غمارات وحروب ما كان نتيجتها سوى خدمة مصالح الاستكبار ودفع المسلمين إلى التمزّق والتخلّف، حتّى يتسنّى لمدّعي الديمقراطية مصادرة الثروات وجعل الناس خِولاً لهم.

وزرعوا في قلب الأُمة الإسلامية دويلة إسرائيل، واتّفقت كلمة الاستعمار وأذنابهم من شرقيّين وغربيّين على دعم هذا الكيان الفاسد.

وقسّموا البلاد الإسلامية إلى أقاليم قومية وطائفية، واخترعوا أسامي لها مثل القعمية العربية والتركية والكردية والفارسية... واخترعوا عنوان الوطنية، فقسّموا البلاد بحسبها، ولم يكتفوا بالتقسيم على هذه الأُسس بل حتّى قسّموا القوميّات إلى عدد دول تتحكّم فيها الأفخاذ الملكيّة الثورات العسكرية المدعومة كلّها بواسطة الغرب، وكانت المصيبة العظمى تكمن أنّ الناس كانوا في الغالب يعيشون حالة الجهل والغوغائية، فكانت تنطلي عليهم الخدع، وتروج على ألسنتهم الشائعات التي يثيرها الأعداء، فربما استبدلوا العدوّ بالصديق وهم لا يشعرون.

فتحت عنوان الاستقلال القومي للعرب انتزعوا فلسطين من الدولة العثمانية وقدّموها لبريطانيا، فقدّمتها بريطانيا للصهيونية العالمية وعوّضت القائمين بهذه الخدمة أن جعلت لهم حكومة الشام والعراق، ولم يكتفوا بهذا بل جنّدوا طاقاتهم لجعل هذه القضيّة وكأنّها قضيّة قومية فلا يحقّ لغير العرب التدخّل فيها، وأمّا العرب ـ وطبعاً لا يعنون بالعرب أمثال السيّد الحبّوبي وغيره ممّن لهم النسب

والحسب والشجاعة والشهامة ـ فقد كان أزمّة أُمورهم كافّة بدون استثناء بيد عملاء الاستعمار، وكان هدفهم من جعل القضيّة الفلسطينية قضيّة عربية إبعاد طاقات الإسلامية الكبرى عنها حتّى يتسنّى للحاقدين على الأُمّة التحكّم في القضيّة كيفما شاءوا.

والقضيّة الفلسطينية ـ لأنّها من أبرز القضايا ـ ذكرتها على سبيل المثال، وإلاّ فإنّ المأساة لم تقتصر في بقعة معيّنة من بلاد العالم الإسلامي أو بقومية معيّنة أو بطائفة ومذهب معيّن، فكلّها كانت مستهدفة من قبل الاستعمار، وعلى كلّها نزلت ألوان المصائب وصنوف العذاب، لكن ونظراً لتشتّت آراء المسلمين وتفرّقهم كان الأكثر من الناس يمرّ عليها مرّ المتفرّج وكأنّه ليس من أبناء الأُمة، وكأنّه لم يسمع الحديث الشريف: «من سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم».[٢٣]

وكان لعلماء الشيعة الدور الأساسي لمواجهة هذه الهجمة الشرسة والتصدّي لها في مختلف الميادين والبقاع، لذلك هبّوا بصوت واحد للوقوف أمام هجمات الغربيّين ببنانهم وبيانهم، وتفانوا في هذا السبيل، وتناسوا كثيراً ما كانوا يعانونه من المشاكل الداخلية في داخل الأُمّة الإسلامية، فوقفوا مع الجيوش العثمانية ضدّ البريطانيين رغم أنّ العثمانيين كانوا قد ارتكبوا مجازر كثيرة بحقّ الشيعة في العراق والشام وتركيا، فنلاحظ هذا التحرّك في بلاد الشام واضحاً أيّما إيضاح في جهاد السيّد محسن الأمين العاملي والسيّد عبدالحسين شرف‌الدين وغيرهما، وفي العراق مثل العلاّمة الحبّوبي والميرزا محمّدتقي الشيرازي وشيخ الشريعة الإصفهاني وغيرهم، وفي إيران مثل الآخوند الخراساني والميرزا النائيني والشهيدين: الشيخ فضل الله النوري والسيّد حسن المدرّس وغيرهم.

ومنهم من لعب دوراً ريادياً وعالمياً في جمع شمل الأُمّة الإسلامية مثل العلاّمة الشيخ محمّدجواد البلاغي والشيخ محمّدحسين كاشف الغطاء والشيخ عبدالكريم الزنجاني والسيّد جمال الدين الأسدآبادي الهمداني والأخير من خرّيجي حوزة النجف الأشرف ومن تلامذة الشيخ الأنصاري؛ حيث جاب البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً، وتستّر بلقب الأفغاني حتّى لا يثير الغربيون وعملاؤهم حسّاسية طائفية ضدّه، فتمكّن بفضل نبوغه وإخلاصه أن يجعل من مصر وإستانبول مقرّاً لانطلاقته، وتمكّن بفضل الاعتماد المكثف على الصحافة من إثارة عزم الأُمّة وتنوير أفكارهم وتوحيد صفوفهم، إلى غير هؤلاء ممّن يضيق بنا المجال لذكرهم، فكلّهم أبلوا بلاءً حسناً مستلهمين من عاشوراء دروس التضحية والإباء.

فلم يكن من الغريب على الغربيين وأذنابهم الاهتمام بإبادة الحوزات العلمية في العراق وإيران والشام وغيرها.

واستمرّ الأمر على هذه الوتيرة والصراع محتدم بين الطرفين حتّى نهاية القرن الرابع عشر الهجري حيث سجّل المؤمنون نصراً حاسماً في إيران بقيادة الإمام الخميني ﷺ، ثمّ تتابعت الانتصارات في لبنان وفلسطين والعراق.

٢٣. تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ١٧٥، ح ٣٥١؛ الوسائل، ج ١٥، ص ١٤١، ح ١.

ولم تكن دويلة إسرائيل قائمة على ذاتها ومعتمدة على نفسها سواء الأمر في بداية تشكيلها حيث كان بواسطة البريطانيين وعملائهم في المنطقة أو فيما بعد تشكيلها حيث كان بوسيلة عامّة دول الاستعمار العالمي وفي مقدّمتها آمريكا وعامّة دول الجوار لفلسطين بل وما بعد الجوار حيث كانوا الحصن والدرع الواقي لهذه الدولة الظالمة، لذلك كان من حقّ رئيس الوزراء الإسرائيلي -بيغن- عند ما بلغه نبأ انتصار الثورة الإسلامية في إيران أن يقول: «لقد بدأ عصر الظلمات». ومن حقّ وزير خارجيته -موشي دايان- أن يقول: «لقد حصلت زلزلة في إيران، وستصل قريباً هزّاته إلينا».

وهكذا وصلت الهزّات، وانفجر بركان الأُمّة الإسلامية فأصبحت قوّات حزب الله وقوات حماس وغيرهما تشدّد من قبضتها وحصارها على هذه الدويلة الغاصبة، وصارت هذه الدويلة تتشبّث بكلّ حشيش وتتوسّل بعملاء الاستعمار هنا وهناك للعثور على منفذٍ للتخلّص من يد الانتقام الإلهي وسخط الشعوب الملتهبة، وهيهات ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾.[٢٤]

وإنّني أذكر جيّداً أنّ قادة الدول الغربية عندما اجتمعوا في مؤتمر قمّة لهم في جزيرة غواديلوب الفرنسية وذلك قبيل انتصار الثورة الإسلامية المباركة في إيران كتبت إحدى المجلاّت آنذاك عن هذه القمّة فقالت: إنّهم بحثوا المسألة الشيعيّة قبل الشيوعيّة، هذا بالرغم من أنّ الغرب آنذاك كانت تعيش عالم الحرب الباردة مع الاتّحاد السوفياتي.

فلا زالت الرسالة المحمّدية والجهود العلويّة والسياسة الحسنيّة والدماء الحسينيّة تلعب دوراً ريادياً في بناء المجتمع الإنساني الصالح، ومن الطبيعي أن يتأثّر شيعة أهل البيت: أكثر من غيرهم بأخذ الدروس، وأن تكون لحوزاتهم العلمية في كافّة البلاد الدور الريادي في مواجهة الاستكبار العالمي، وما زال الغربيون يكنّون للشيعة وحوزاتهم العلمية كلّ الحقد، ويخططون من طريق إثارة المشاكل والنعرات الطائفية وغيرها من النيل منهم، ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾.[٢٥]

وللموضوع صلة بما سيأتي من ذكر جهاده ضدّ المحتلّين، وأيضاً في عنوان ثناء العلماء عليه.

٨. ثناء العلماء عليه:

قال الشيخ آقا بزرك الطهراني في ترجمة الحبّوبي من نقباء البشر:

> فقيه جليل ومن كبار أعلام الأدب في عصره... و[هو] أشهر (أفراد) أُسرته، نشأ على حبّ العلم والفضل، فتعلّم المبادىء وقرأ المقدّمات على بعض فضلاء عصره، وأخذ السطوح عن لفيف من الأعلام، وأتقن علوم الأدب إتقاناً جيّداً، وولع بالشعر فقرضه وأجاد فيه غاية الإجادة....
>
> وقد اختصّ من بين معاصريه بالعلاّمة الشيخ محمّد حسن كبّة، فكثيراً ما كان يقصده إلى بغداد فيقيم عنده المدّة الطويلة برغبة منه، ويشتركان هناك بنظم القصائد الفائقة والملاحم الممتازة، حتّى اجتمع ممّا اشتركا بنظمه شيءٌ كثير، كما أنّ للحبّوبي في خليله المذكور شعراً كثيراً قد لا يستطاع جمعه بأجمعه؛ لتشتّته وتفرّقه... وقد كان لهبوطه ديار نجد في أيّام صباه

٢٤. السجدة (٣٢): ٢٢.
٢٥. التوبة (٩): ٣٢.

وشبيبته، واختلاطه بذوي الشعور الفطري من سكّانها، وانتشاقه لذلك النسيم الجافّ أثرٌ قوي في إرهاف حسّه وتثقيف خاطره، فقد أضاف ذلك إلى استعداده ومواهبه وفطرته، كما زاد في تنمية ذوقة وتلطيف شعوره.

وقد اجتمعت فيه مؤهّلات ومواهب كانت أقوى الأسباب لرقيّه ونبوغه، فقد كان حادّ الفكر، سريع الانتقال، حاضر البديهة، متوقّد الذهن، مكثراً من النظم، مجيداً في فنونه، جمع إلى براعة الأُسلوب دقّة المعاني، وإلى جزالة التركيب سلاسة اللفظ، فقد انطلق لسانه بروائع البيان، وأتى بالمعاني المبتكرة في الألفاظ الساحرة، ولذلك برز بين زملائه ومعاصريه وهو في سنّ الشباب، وذاع اسمه بين نوابغ شعراء العراق وأفذاذ أُدبائه.

وهو بحقّ في طليعة أعلام الأدب العراقي، وفي الصفّ الأوّل من أعاظم شعرائه، وحسبنا للتدليل على مكانته ديوانه المطبوع، ففيه تلمس قوّة شاعريّته، وتعرف مكانته الرفيعة في عالم الأدب.

[و]لم يكن أديباً كبيراً فحسب وإنّما هو فقيه جليل وعالم جهبذ....

وكان على جانب عظيم من التقوى والصلاح، وكمال النفس، ومكارم الأخلاق، والبشاشة، وحسن الملتقى، ورحابة الصدر، ولين العريكة، وسلامة الباطن، وطهارة الضمير وشرفه ونزاهته، والتواضع الذي لازمه حتّى الساعة الأخيرة من حياته حتّى بعد أن صار زعيماً دينياً؛ فإنّ رئاسته لم تبدّل أخلاقه، ولم تغيّر شيئاً من أحواله، وكان حصل على ذلك الكمال النفسي والرياضة الشرعية من أُستاذه الأعظم الممولى حسين قلي الهمداني... وكان الحبّوبي من الأبدال الذين أدركتهم وجالستهم ﷺ....

اتّجه بكلّه إلى علوم الدين ـ بعد أن ترك الشعر ـ حتّى أُشير إلى مكانته، وأصبح في عداد فقهاء النجف ومجتهديها الأعلام، واشتهر أمره بين الخاصّة والعامّة، فالتفّ حوله جمع من الطلبة، فشرع بالتدريس في الفقه والأُصول، وكان له في تدريسه أُسلوب خاصّ يميل فيه إلى طريقة شيخنا الأُستاذ الشيخ محمّد كاظم الخراساني الذي يعتبر مجدّداً لهذا العلم.

ولمّا توفّي شيخه الشيخ محمّد طه نجف كثر الإقبال عليه أكثر من السابق.

وهكذا اشتغل بالوظائف الدينية مستمرّاً على التدريس والتأليف وغير ذلك.

ورثاه الشيخ جواد الشبيبي بقصيدة، مطلعها:

لواء الدين لُفّ فلا جهاد ... وباب العلم سُدّ فلا اجتهاد

وأرّخ وفاته بقوله:

فقيد المسلمين غداة أودى ... حسبت الدين بينهم فقيدا

لئن وجدوه للداعي مجيباً ... فقد فقدوه قرآناً مجيدا

وإن شهدته أعينهم سعيداً ... فقد حملته أرؤسهم شهيدا

تقدّم للجهاد أمير دين ... وساق المسلمين له جنودا

ومـذ لاقـى المنيّـة أرّخـوه (سعيد في الجهاد قضى سعيدا)

وكتبت هذه الأبيات على قبره.[٢٦]

وقال الشـيخ الحجّة محمّد حسـين كاشف الغطاء ـ المتوفّى سـنة ١٣٧٣ ـ في تعليقاته على ديوان سحر بابل للسيد جعفر الحلّي عند تخميس الحلّي لقصيدة الحبّوبي الشهيرة التي مطلعها:

لح كوكباً وامش غصناً والتفت ريما فإن عداك اسمها لم تعدك السيما

ما مختصره:

هـذا هو العلم الطائر الصيت، السـائر الذكر، الذائع الفخر، الحريّ بـكلّ تجلّة وكرامة، الذي إن أسمت سرح لحظك في حمائل نظمه، ومروج شعره، قلت متخصّص في الشعر، ما عرف غيره، ولا وقف دونه، ولا عرّج على سـواه، وإن متّعت نفسـك من مذاكراته وأخذت حظّك من علمه ومباحثته قلت عالمٌ نقّاب، ولاّج كلّ باب، قد قطع في العلم ظهره، وأفنى فيه دهره، ما أصغى إلى سواه، ولا استمع غيره، فهو كلّه شعر وأريحيّة تارة، وعلمٌ وفضلٌ كلّه أخرى، ولكنّه أعطى لكلّ دور من حياته حظّه ولكلّ ربيع من عمره شكله.

فهو من أُسـرة عريقة الشرف، نبتت في العراق شجرتها، ووجدت في نجد فروعها، واجتازت الحجـاز أغصانها، وهي وإن لم تكن سلسـلة علم ولكن روح العلـم والفضيلة فيها من الصدق والاستقامة وسكون الريح وطيب المخالقة.

نشأ وأهلوه السادة الأمجاد، أولوا تجارة وضرب بين العراق ونجد والحجاز، فجال في ريعان شبابه بتلك المهامة من منابت القيصوم والشيخ، ثمّ استردّته حياته العقلية في إبّان ريعانه إلى محطّ رحل العلم والأدب من مسقط رأسه النجف، ولازم العلاّمة الشهير الشيخ موسى شرارة العاملي....

ثمّ صار ينظم في مثل هذه الآونة الشـعر، ولكن أي شـعر، ذاك الذي يسكبه من سلافة أخلاقه، وينظمه من دماثة طبعه، ويسـتخفّك به من خفّة روحه، الشـعر الـذي يوافق ذوق كلّ عصر، ويلائم روح كلّ زمان، فقل هو شعر الدهر لا شعر ذلك العصر، ثمّ أغرب وأطرب، ونبّه ونبغ بما جاء به من نظم أنواع الموشّـحات التي تندرس عندها موشـحات الأندلس، وتعكر في صفائها أهازيج الصفي.

ثمّ ما أغبّ بعد ذلك أن طلّق الشـعر ثلاثاً، بل طلاقاً تاسعاً، فعاد وكأنّه يحسبه عليه حراماً مؤبّداً، ويحسـب من لا علم له به أنّه لا يعرف شـيئاً منه أبداً، تركه لا بل ترك في أحشـاء الزمان أعظم حسرات لاستماع مطرب تلك النغمات، ومعجب هاتيك النبرات.

بيد أنّه انتقل إلى ما هو أشرف وأعلى، وإلى ما هو أليق بهذا الدور الذي بلغه من العمر.

انقطع بأجمعه لتحصيل العلم وفقاهة شريعة جدّه (سلام الله عليه وآله) فلازم العلاّمة الشيخ محمّد طه نجف (طاب ثراه) ولم يبرح عنه إلى حين وفاته، وكان الشـيخ يشـير إليـه ويدلّ على فضله وعلمه. وهوم اليوم أحد الأعلام في النجف وأئمّة الجماعة فيها، وللناس أتمّ وثوق به كما هو أهله.

٢٦. نقباء البشر، ج ٢، ص ٨١٥-٨١٩.

وهو أحد الشعراء الذين ما اتّخذوا الشعر صناعة كسب واستجداء، وما كانوا ينبعثون إليه إلاّ بدوافع كريمة ومقاصد شريفة، وعلى الأخصّ فإنّه كان ممّن أغناه الله بفضله عن تلك الدناءة، والعوز إلى تلك النقيصة.

وأمّا ما طوى من صحائف هذا الكون فهو فيما أحسب قد تجاوز اليوم الستّين، ولكن النفوس الطاهرة ترتاح إليه وتهش إلى سماع حديثه وحضور مجلسه أكثر من كلّ ما هو مظنّة أنس أو ملتمس طرب، ويخاله رائيه ـ لما هو فيه من النشاط والهمّة والاعتدال ـ وكأنّه كهل لم يبلغ الخمسين.

فهو مجموعة كمال وفضيلة، وشرف وسعادة، قلّ ما يجود الزمان بمثلها أو يأتي بنسخة لها، وخذ مثالاً من شعره القصيدة التي خمّسها السيّد جعفر الحلّي وهي آخر ما نظمه، ولعلّ في أوائل شعره ما هو أرقّ وأعبث بالأرواح منها.[٢٧]

وقال الشيخ محمّد السماوي في كتابه الطليعة من شعراء الشيعة:

كان فاضلاً ممتاز الفضل، مجتهداً حاكماً بالقول الفصل، وكان حسن الوجه والجسم والأخلاق والهيئة، وقّاد الذهن، معتدل السليقة، خفيف الطباع، ثقيل الحلم، وقوراً، محبوباً في النفوس، ظريفاً إلى الغاية، إلى تقيّ لم يختلف فيه اثنان.[٢٨]

وقال الشيخ محمّد حرز الدين في كتابه معارف الرجال:

عالم عامل، فقيه ثقة أمين مجاهد، وأديب شاعر مفلق، صاحب الموشّحات الشهيرة، عاصرناه زمناً طويلاً، وكان صاحبنا في حضور دروس بعض الأعلام كدرس الفقيه ابن نجف والشرابياني وغيرهم، له مجالس أدبيه ومحاضرات مفيدة ومناظرات نافعة، وكانت لنا جلسة معروفة حافلة بأهل الفضل والعلم تضمّنا إلى شطر بعيد من الليل في سطح قبّة اليماني بمقبرة الصفا في النجف، وهذا المكان مشرف على بحر النجف قبل كمال جفافه في سنة ١٣٠٣، وله منظر بديع في الليالي البيض، إضافة إلى طيب هوائه وهدوء جوّه، وكانت تحرّر فيه المسائل العلمية والأدبية والمعاني الشعرية، وممّن يحضر معنا العالم الأديب الشيخ موسى بن محمّد أمين شرارة العاملي والأخ المقدّس السيّد مهدي بن السيّد صالح الحكيم النجفي وجماعة من فضلاء العامليّين والنجفيّين.[٢٩]

وفي موسوعة النجف الأشرف للدجيلي والخاقاني:

أحد أعلام الإسلام والأدب والجهاد، أخذ علوم الإسلام ومعارفه عن جملة من فقهاء النجف مثل الكاظمي وطه نجف والشرابياني والآغا رضا الهمداني والملاّ حسين قلي الهمداني، حتّى صار فقيهاً فيلسوفاً عارفاً أخلاقياً أديباً شاعراً.[٣٠]

أثنى عليه جميع من ذكره، وتأثّر بهديه وصلاحه وورعه تلامذته الآخذون علوم الاسلام عنه، وقد كانت له في النفوس هيبة ومحبّة، ومن هنا سعى إلى تخليص بلاد الإسلام ممّا ألمّ بها من تقاليد الجهل والتأخّر.

٢٧. ديوان سحر بابل، ص ٣٨٥؛ التعليقة.
٢٨. الطليعة، ج ٢، ص ٢٤٢.
٢٩. معارف الرجال، ج ٢، ص ٢٩١.
٣٠. موسوعة النجف الأشرف، ج ١٧، ص ٣٩٠.

وفي تاريخ النجف الأشرف لمحمّد حسين حرز الدين ـ المتوفّى سنة ١٤١٨ ـ عبّر عنه بـ «الشهيد السعيد»،[٣١] «المجاهد الشهيد»،[٣٢] و قال:

في حدود سنة ١٢٩١ أصلح والي الحلّة شبلي باشا بين السادة آل زوين ومناوئيهم من رؤساء العشائر الفراتية بواسطة المرحوم السيّد ميرزا جعفر القزويني، وقد عقد الصلح بديوان الشيخ عبّاس بن الحاج عبدالسادة الأعسم في داره الشهيرة في محلّة البراق في مدينة النجف، وقد حضر الحفل يومئذ زعيم آل الجواهر العلاّمة الشيخ علي حفيد صاحب الجواهر، والعلاّمة السيّد محمّد بحر العلوم، والشيخ عبّاس بن الشيخ علي كاشف الغطاء، والسيّد موسى بن السيّد جعفر القزويني، وجمع غليل قليل من مشاهير العلماء ووجوه البلد وأعيان الحلّة، وكان حينئذٍ العلاّمة السيّد المجاهد محمّدسعيد الحبّوبي يدير شؤون ذلك الحفل.[٣٣]

وفي حوادث سنة ١٣٢٨ ـ تحت عنوان الإيرانيون وجهاد الرؤوس ـ قال:

في هذه السنة في الفترة من جمادى الأولى إلى أوائل رجب قام الإيرانيون في النجف بأعمال جسيمة حيث بلغهم جملة من حوادث تبريز وآذربيجان وأنّ الروس دخلوا تبريز وخراسان... وقدّم جماعة من العلماء برأي (آخر بخروج الرأس من تلك البلاد) وعرض هذا الرأي على السيّد محمّدسعيد الحبّوبي والسيّد محمّدكاظم اليزدي والشيخ جواد الحولاوي فقبلوه.[٣٤]

وفي ترجمة ابن الحجّاج الشاعر من الأعيان قال تحت عنوان: «الخمريّات»:

ممّا يؤسف له أنّه شاع بين المسلمين في دولتي بني أُميّة وبني العبّاس استعمال الشراب ونظم الأشعار فيه، ومن أعظم الأسباب في ذلك تجاهر من تسمّوا بالخلافة بشربه... وقد نظم في وصف الخمر من يشربها ومن لا يشربها؛ لأنّ النظم في وصفها صار من متمّمات الشاعرية، كما أنّ النظم في الغزل بما يعلم أنّ الشاعر بعيد عنه قد صار من متمّماتها... كما أشار إليه شاعر العصر السيّد محمّدسعيد الحبّوبي بقوله:

إنّما حاولت نهج الظرفا عفّة النفس وفسق الألسن[٣٥]

وفي ترجمة الشيخ جعفر الشرقي النجفي المتوفّى سنة ١٣٠٩:

وقد كان السيّد الحبّوبي والسيّد حيدر الحلّي... ويراجعون «الشرقي» ويأخذون عنه لباب الأدب... وكانت في النجف دائرة علم وأدب تنتظم من الشيخ جعفر المترجم والسيّد محمّد سعيد الحبّوبي النجفي والحاج محمّد حسن كبّة البغدادي والشيخ عبّاس الأعسم النجفي وعنها تأخذ تلامذة الأدب.[٣٦]

وقال عنه الدكتور محمّدمهدي البصير الحلّي (١٣١٣ـ١٣٤٩) في ص ١٦ من كتابه نهضة العراق الأدبية إنه: «علم من أعلام عصره، وعين من أعيان جيله».

وفي الأعيان في ترجمة صفي الدين الحلّي: «وكان شاعر العصر وفاضل الوقت السيّد محمّدسعيد الحبّوبي النجفي يعجب بشعره كثيراً، ويفضّله على كثير من الشعراء، وحسبك

٣١. تاريخ النجف الأشرف، ج ١، ص ١٢٦.
٣٢. تاريخ النجف الأشرف، ج ١، ص ٣٩٨.
٣٣. تاريخ النجف الأشرف، ج ٢، ص ٥٣٤.
٣٤. تاريخ النجف الأشرف، ج ٣، ص ١١٩.
٣٥. أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٤٣٢.
٣٦. أعيان الشيعة، ج ٤، ص ١٧٣ـ١٧٤.

بشهادة مثله».[٣٧]

وفيه في ترجمة السيّد جعفر القزويني (...ـ١٢٦٥):

الأُسرة الكريمة القزوينية المشهورة في النجف والحلّة والهندية التي ذاع لها من الصيت في العلم والأدب والشهامة والسخاء، وفي أيّام العلاّمة الشهير السيّد مهدي القزويني راجت سوق الأدب العربي... ومن وقف على ديوان السيّد حيدر والسيّد جعفر الحلّيين، والحبّوبي والطباطبائي النجفيين عرف صحّة ذلك.[٣٨]

وفي شعراء الغري للخاقاني ماملخّصه:

من أشهر مشاهير عصره، فقيه كبير، وأديب فطحل، وشاعر مبدع، نشأ كما يريد الله والناس، مطبوعاً على الخير، مثالاً للخلق الرفيع والنفسية العالية، فانطبع على حبّ العلم والأدب انطباعة تشير إلى ذكاء ونبوغ، وتطّلع إلى درس حياة الأبطال، وراح ينشد العظمة المشفوعة برضا الله، والتفوّق الذي يوصل الإنسان إلى معرفة الحقّ، واتّجه صوب المجتمع فكان ولوعاً بتكوين الحلقات الأدبية التي تصقل المواهب وتثيرها، فكان العمد الذي ارتكز عليه جيله، والعمود النوري الذي اهتدى به معاصروه، والإنسان الذي أفسهم الجميع أنّه مثال يتفوّق على أبناء اللاّهوت بكماله وبراءته، واستطاع أن يتملّك زمام إمارة الشعر، ويترأس الأندية التي ضمّت النوابغ والفحول من أرباب الأدب، فانضوى تحت رايته أكابر الشعراء، ويترأس الأندية التي ضمّت النوابغ والفحول من أرباب الأدب، فانضوى تحت رايته أكابر الشعراء، وانتسب إلى حضيرته معظم الأُدباء، وتخرّج من حجرته ـ الواقعة في آخر الزاوية الأُولى عن يمين الداخل إلى الصحن من باب القبلة وتعرف بحجرة الشيخ علي شرارة كان السيّد الحبّوبي يجلس فيها ـ مجموعة من الأُمّيين وأنصافهم ممّن يستمعون إلى حديثه ومحاضراته.[٣٩]

والحبّوبي كما جاء في مقدّمة ديوانه ص ٨ تربّى على يد أعلام لهم مكانتهم في عالم العلم والخلود، فقد أخذ الأخلاق والرياضيات على الأخلاق الكبير ميرزا حسين قلي الهمداني وأكثر من صحبته والحضور عند مدّة حياته، فاكتسب منه طريقته الأخلاقية التي جعلته وحيداً بفضيلتها بين كبار النجفيّين، ودرس الفقه والأُصول ردحاً من الزمن عند الأُستاذ الكبير الشيخ محمّد حسين الكاظمي؛ إذ كان هو المدرّس العربي الوحيد في زمانه، وبعد وفاته اختصّ بالحضور والتلمذة عند فاضل عصره الشيخ محمّد طه نجف فكان من أساطين من حضروا عنده، وقد أيّده الشيخ بكلمات كثيرة رقت منزلته بين الفضلاء وجعلته في الطبقة الأُولى منهم، وبعد وفاة أُستاذه لم يحضر عند أحد من كبار العلماء، بل انقطع للتدريس والتأليف منذ ثلاث عشرة سنة، وهو اليوم يعدّ في صدور العلماء المجتهدين يرجع إليه في أغلب المسائل العويصة. وفي تكملة أمل الآمل للسيد حسن الصدر (١٢٧٢ـ١٣٥٤):

السيد محمد سعيد بن السيد محمود الحبّوبي النجفي من أفاضل المعاصرين، عالم عامل، فقيه أصولي، متكلّم كامل، من أهل الأفهام العالية، والأنظار والأبكار الغالية، مضطلع في علوم

٣٧. أعيان الشيعة، ج ٨، ص ٢٢.
٣٨. أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٨٦.
٣٩. شعراء الغري، ج ٩، ص ١٤٧.

الأدب وفي لسان العرب، كامل الأخلاق، طاهر الأعراق، جامع لصنوف الفضائل والفواضل، من أجلّة سادات الغري، وبيته بيت جليل، رفيع في الجلالة والشرف، ولكنه هو الأشرف فيه والأعرف، بل هو بيت الشرف. وقد كان يتعاطي الشعر في أيّام شبابه، وكان حينئذ أشعر من في الغري على الإطلاق، وتعاطي تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ففاق أقرانه من أهل الأخلاق. وبالجملة رأيته كلّما تعاطى علماً فاق أقرانه فيه بأسرع زمان، وكذلك اليوم، قد تقدم في نصرة الدين، وألف بين العشائر والقبائل، وبعد المحاربة التي وقعت في الشعيبة من جهة البصرة رجع إلى ناصرية المنتفك وبها توفي -قدس الله روحه-... ونُقل نعشه الشريف إلى النجف الأشرف و دفن هناك.[٤٠]

٩. مؤلّفاته:

قال الشيخ الطهراني في ترجمته من طبقات أعلام الشيعة والذريعة:

وله آثار في الفقه والأُصول، وكتابات متفرّقة فيهما لم يطبع منها شيء، ولم ينشر من آثاره سوى ديوان شعره الذي طبع ببيروت عام ١٣٣١ بتذييل الشيخ عبدالعزيز الجواهري النجفي... وقد اتّفقت للناشر بعض الهفوات... والديوان لم يحتو على جميع شعره وإن ادّعى على ذلك ناشره في ص ٢٥٩ و ٣١١، فليس الأمر كما ظنّ فقد نشر مقدار من شعره في ترجمته في العراقيات وهو مختار شعر عشرة من شعراء العراق ومختصر من تراجمهم طبع بـ«صيدا» سنة ١٣٣١ في ٢٠٩ صفحة، وفيه مقاطيع وقصائد لا أثر لها في الديوان... كما ذكرت له قصائد في مقدّمة العقد المفصل لا وجود لها فيهما... كما أنّ لذى ابن أخيه الشاعر المعروف السيّد محمود الحبّوبي مجموعة من شعره الذي لم يطبع، كما أنّ قسماً من شعره كان عند الحاج محمّد حسن كبّة... وتوجد نسخة قيّمة من ديوانه كتبها الشاعر الأديب الخطّاط الشيخ حسن الحمود الحلّي النجفي... وقف عليها كلّ من الشيخ جواد الشبيبي والشيخ عبدالحسين الحلّي... وهما ركن من أركان الأدب... فحقّقاها وأصلحاها وأضافا عليها مالم يكن فيها... والنسخة المخطوطة اليوم عند نجل كاتبها الشيخ أحمد.[٤١]

وقال الخاقاني في ترجمة الحبّوبي من كتابه شعراء الغري:

ولديوانه المطبوع في بيروت عام ١٣٣١ قصة لا يعرفها إلاّ الخواصّ، وخلاصتها أنّه اندفع الشيخ محمّدرضا الشبيبي لما له من ولع كبير بالبحث والنشر، ولما بينه وبين الحبّوبي من روابط ووشائج قربى بجمع شعره الذي كاد أن يتمزّق ويتلاشى على عهد صاحب الديوان بالنظر لإعراضه عن النظم مدّة ربع قرن من حياته الأخيرة، فقام في جمعها دون تمحيص بقصد أن ينصرف إلى كشف مقاصده بعد أن يستوفي جميع ما للسيّد من بنات أفكار، ونظراً للتنافس الذي كان بينه وبين الشيخ عبدالعزيز الجواهري وجماعته الذين كانوا يشكلون معسكرين أدبيين، فقد سطا الجواهري فأوهم على عمّه الزعيم الشيخ جواد طالباً منه الوقوف على بعض ما قيل في آل الجواهري، ولم يكن له الطريق إلاّ أن يوسّط قائمقام النجف ناجي السويدي

٤٠. تكملة أمل الآمل، ج ٥، ص ٤٠٩، برقم ٢٣٥١.
٤١. نقباء البشر، ج ٢، ص ٨١٩-٨٢١؛ الذريعة، ج ١٥، ص ٢٤١.

لاستعارته من الشبيبي ليلة واحدة، وعلى هذه الطريقة تم الاستيلاء عليه وعند ما تسلّمه عقد مجلساً من أبناء العلم فسهروا ليلتهم حتّى كتبوه كلّه وبعد زمن ورد الديوان النجف وقد طبع غير أنّه بقي على غموضه وعدم الإشارة إلى مقاصد القصائد وإخراج الدخيل الذي سجّله الشبيبي سهواً فجاء مشوّشاً لم يجمع كلّ شعره ولم يتنزّه من شائبة النقد.[٤٢]

واهتمّ الدكتور علوش ـ المتوفّى سنة ١٩٧٦م ـ بإنتاجاته الأدبية، فعدّ من جملة مؤلّفاته: «موشحات السيد محمّد سعيد الحبّوبي».

وفي الذريعة[٤٣] عند ذكر نظم الرحلة المكية للفقيه الشيخ محمّد حسن كبّة البغدادي (م ١٣٣٦) وتقاريظه وهي خمسة عشر نفراً نظماً ونثراً لأُدباء العصر المشاهير ومن أعلام العلماء في زمن نظم الرحلة ـ وهي سنة ١٢٩٢ ـ منهم السيّد محمّد سعيد الحبّوبي... وطبعت التقاريظ أيضاً سنة ١٣٣١ في كتاب العقد المفصل للسيّد حيدر الحلّي.

وفيه أيضاً: تمرين الصبيان بسمائل الصلاة للسيّد عبدالكريم الكاظمي طبع ببغداد سنة ١٣٢٩، وعليه تقريظ السيّد المجاهد... الحبّوبي.[٤٤]

وفيه أيضاً:

> ديوان الحبّوبي الكبير، وهو المجاهد السيّد محمّد سعيد... الذي ينتهي نسبه مع نسب معاصره السيّد أحمد العطّار البغدادي ـ المتوفّى سنة ١٢١٥ ـ إلى حميضة أخي رميثة الذي هو جدّ الشريف حسين شريف مكّة أيضاً، كان في شبابه أشعر شعراء العراق، وصار من أعظم علمائها، وجاهد في سبيل الله، ورجع بعد انكسار عسكر الإسلام في الشعيبة... طبع في بيروت سنة ١٣٣١ في ٣٣٠ صفحة مع تذييل الشيخ عبدالعزيز الجواهري واعتناء ولد الناظم السيّد علي، وطبع بعض شعره بعنوان العراقيّات.[٤٥]

وفيه أيضاً: أنّ له مراسلات مع الشيخ محمّد علي الجزائري (...ـ١٣٠٣) مذكورة في ديوانه.

١٠. نشاطاته الأدبية:

تقدّم بعض الكلام حول شخصيّته الأدبية، ونذكر هنا مالم نذكره فيما تقدّم:

قال الخاقاني في كتابه شعراء الغري:

> والحبّوبي لا يحتاج إلى الإطراء على شعره، فقد أوقف الإحساس، وهيمن على القلب، وامتلك العواطف، وغنّت به النفوس الوادعة والمستأسدة، واندفع إلى سماعه التّقي والشّقي، وتذوّقه البليد واللبيد، وعنت له الأفكار المتطاولة من أخدانه، جمع إلى دقّة المعنى رقّة اللفظ، وإلى حسن الديباجة قوّة التصوير، وانطلق في عالم الذهن الواسع يصوّر للنفس ما تشتهي، وللعقل ما يروم، ويفهم جيله ومن بعده على السواء الدّقات القلبية التي يتأثّر بها صاحب الحسّ إذا ما وجد ما يثيره، دون فروق في مقاييس الزمن، صوّر الطبيعة

٤٢. شعراء الغري، ج ٩، ص ١٥٤ ـ ١٥٥.
٤٣. الذريعة، ج ٤، ص ٣٤٣.
٤٤. الذريعة، ج ٤، ص ٤٣٢.
٤٥. الذريعة، ج ٩، ص ٢٢٩.

تصويراً دونه ريشة الفنّان المبدع، وحرّك القلوب الغافلة بأقوى ما ينبّهها الوتر الحسّاس والعازف الرصين، ويرفع المشاهر إلى أجواء قد لاتسمو إليها إلاّ في فترات منها سماع شعره، ويجوب في العقول إلى آفاق قد لاتصل إليها إلاّ بعد البعث....

ثمّ ذكر نموذجاً من قصيدته النونية على الطريقة الفارضية وقال:

فهل تأمّلت هذا الأُسلوب المشرق المشفوع بالفكر والخواطر الروحية الدقيقة التي تصوّر التجرّد والالتحاق في آن واحد، وهل تتصوّر أنّه في كل ما قاله لايخلو من تصوير لنفسه ومجتمعه وطبيعته.

ثمّ ذكر قصيدته التائية في التذمّر وقال:

عرفت القابلية الكبرى التي تبدو من خلال قوله، ففي الوقت الذي ذاب هيماناً واستحال روحاً رقيقاً، التفت فصوّر طبيعة مجتمعة وأخلاق أبناء عصره، واسمعه وهو يسمو في تصوير الجمال وإدراك الحبّ له...

فذكر قصيدته البائية وقال:

وطبيعي أنّ هذا الحسّ ضوعف بتردّده على بغداد، وجلوسه على نهر دجلة، وارتياده مقاصير الكرّادة، وشربه من ذلك الماء الصافي الذي لايحلم به معظم شعراء عصره في النجف...

ثمّ ذكر نموذجاً من رسائله إلى السيّد عبّاس العاملي والشيخ حسن زاير دهام، ونموذجاً من موشّحاته وبعضها لم تطبع.

وقال أيضاً: «والحبّوبي قال الشعر كثيراً، ولكنّه كان يزهد فيه لايعبأ بجمعه، فتلف أكثره»، ثمّ ذكر قصيدته التائية التي أرسلها إلى صديقة الشيخ محمّد حسن كبّة، وهكذا قصائده الحائية في الشيخ محمّد حسن وخاله الشيخ عبّاس الأعسم، ثمّ ثلاث قصائد دالية، ثمّ رائية يهنّىء صديقه الشيخ محمّد حسن بزواجه عام ١٢٩٣، وأُخرى رائية إليه، وثالثة رائية، ورابعة رائية إلى خاله، وسينية وطائية، وعينية في رثاء السيّد بحر العلوم، وفائية، وأُخرى فائية في السيّد عبّاس العاملي، وثالثة فائية في تقريظ العقد المفصل للسيّد حيدر الحلّي، وقافيّة، وأربع قافية أُخرى بالمشاركة مع صديقه الحاج محمّد حسن كبّة، ولامية في رثاء خاله، وأُخرى بالمشاركة مع صديقه، وأُخرى أرسلها إليه، وعينية وميميّة.[٤٦]

وقال عنه معاصره وصديقه الشيخ محمّد حرز الدين في معارف الرجال:

أديب شاعر محلق، صاحب الموشّحات الشهيرة... له مجالس أدبية... وكانت لنا جلسة معروفة حافلة بأهل الفضل والعلم تضمنا إلى شطر بعيد من الليل في سطح قبة اليماني بمقبرة الصفا في النجف، وهذا المكان مشرف على بحر النجف... وكانت تحرّر في المسائل العلمية والأدبية والمعاني الشعرية... ورثى العلماء الأعلام والسادات، وكان نظمه في الطبقة الأُولى

٤٦. شعراء الغري، ج ٩، ص ١٦٣.

في المتانة والرّقة وحسن الأُسلوب.[٤٧]

وفي موسوعة النجف الأشرف لجعفر الدجيلي وعبدالله الخاقاني:

أحد أعلام الإسلام والجهاد والأدب... من الشعراء الكبار بل في مقدّمة حركة أحياؤ الشعر العربي وتجديده حيث بدأ معه يخرج (الشعر) من عالم التقليد والصناعة اللفظية إلى عالم التعبير عن ذات الشاعر التي يسكنها الكمال والجمال، على أنّ السيّد انصرف عن الشعر بعد عهد الشباب... طبع ديوانه غير مرّة منها في الخمسينات في مطبعة العرفان بلبنان بعناية إبراهيم زين عاصي، ومنها بإعداد عبدالغفار الحبّوبي ببغداد سنة ١٩٨٠ و ١٩٨٣م.[٤٨]

وله قصيدة في رثاء السيّد حسن بن السيّد رضا ابن السيّد مهدي سنة ١٣٠٦.

وقصيدة في مدح السيّد إبراهيم بن السيّد حسين بحر العلوم المتوفّى سنة ١٣١٩.

وقال السيّد الأمين في الأعيان بعد ذكر جماعة من الشعراء المتأخّرين قال:

وأكثر هؤلاء لو كانوا في الأعصار السالفة لعدوّا مع فحول الشعراء كأبي تمام والبحتري والمتنبي وأضرابهم، ولكن خانهم زمانهم الذي وجدوا فيه. ومن المعاصرين السيّد محمّد سعيد الحبّوبي النجفي، والسيّد حيدر الحلّي، والشيخ عبدالمحسن الكاظمي نزيل مصر، والشيخ محمّد رضا الشبيبي، ومحمّد مهدي الجواهري، والشيخ عبدالحسين آل صادق العاملي، والسيد حسن محمود الأمين الحسيني العاملي، والشيخ سليمان ظاهر العاملي النباطي، والشيخ أحمد رضا العاملي النباطي، والشيخ محمّد حسين آل شمس الدين العاملي، والشيخ محمّد نجيب مروة العاملي وغيرهم [ممّا] ينبو عنهم الحصر.[٤٩]

وله بيتان في مدح الشاعر الشهير العلاّمة الميرزا أبي الفضل النوري الطهراني ـ المتوفّى سنة ١٣١٦ أو ١٣١٧ ـ وهو جدّ زوجة الإمام الخميني (رحمهم الله).

هذا حسب ما ذكره السيّد الأمين في الأعيان، وتبعه آخرون. والصواب أنّها جزء من قصيدة جاءت في الديوان، ص ١١٩، راسل بها خاله الشيخ عباس الأعسم ومطلعها:

خطرت فجدّ وشاحها بخفوق ... فكأنّها اشتحت بقلب مشوق

ومنها:

والفضل للمولى أبي الفضل الذي ... أرسى مضاربه على العيّوق

وله قصيدة في رثاء الشيخ أحمد بن الشيخ عبدالحسين الجواهري المتوفّى سنة ١٣٠٢.

وله قصيدة في مدح السيّد جعفر بن حسين الزويني المتوفّى سنة ١٣٠٥.

وله قصيدة في رثاء الميرزا جعفر بن مهدي الحسيني القزويني المتوفّى سنة ١٢٩٨. قال في الأعيان: «ورثاه الشعراء كالسيّد حيدر الحلّي والسيّد محمّد سعيد الحبّوبي والسيّد إبراهيم الطباطبائي

٤٧. معارف الرجال، ج ٢، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢.
٤٨. موسوعة النجف الأشرف، ج ١٧، ص ٣٩١.
٤٩. أعيان الشيعة، ج ١، ص ١٨٤.

والسيّد جعفر الحلّي وغيرهم». [٥٠]

وهكذا في رثاء الشاعر الكبير السيّد حيدر الحلّي المتوفّى سنة ١٣٠٤.

وله في رثاء الملاّ محمدباقر الإيرواني المتوفّى في ربيع الأوّل سنة ١٣٠٦ قصيدة مطلعها:

لمحمّد أبكي أم الأصحاب قد مات فانقلبوا على الأعقاب

ويقال: «إنّ السيّد محمّدسعيد الحبّوبي أوذي في سبيلها ممّن ظنّوا أنّ فيها تعريضاً بهم، ولأجل ذلك ترك قول الشعر حتّى مات». [٥١]

وفي ترجمة الشيخ نوح الجعفري الفقيه الزاهد المتوفّى سنة ١٣٠٠ في أعيان الشيعة ج ١٠، ص ٢٨٨: «رثاه شاعر العصر السيّد محمّدسعيد الحبوبي النجفي بقصيدة طويلة موجودة في ديوانه».

ورثى حجّة الإسلام السيّدحسين الترك الكوهكمري الحسيني التبريزي ـ المتوفّى سنة ١٢٩٩ ـ وهو من أبرز تلامذة الشيخ مرتضى الأنصاري كما في الكنى والألقاب ج ٣، ص ١٢٧: «قال: ورثته أُدباء عصره منهم السيّد محمّدسعيد الحبّوبي والشيخ كاظم السبتي وغيرهما».

وللخاقاني في كتابه القيّم شعراء الغري ج ٩، ص ١٥٥ بحث موسّع عن ديوان الحبّوبي المطبوع باهتمام الشيخ عبدالعزيز الجواهري عام ١٣٣١، وقد ذكر مقاصد الديوان وقال: «والديوان لفت نظر كلّ باحث أن يعلّق عليه لتوضيح مقاصده وكشفها...».

وموجزه أنّه قال في ص ٤١ من الديوان مهنياً بعض من يمت إليه بالرحمن من الطائفة الجواهرية في تهنئة الشيخ عبّاس والشيخ جواد أولاد الشيخ حسين الجواهري، وفيها إطراء على والدهما في قصيدة فائية، وفي ص ٥٢ مهنياً السيّد عبّاس بن السيّد راضي والعلمين الشيخ عبدالحسن والشيخ مهدي ولدي الشيخ راضي بقافيّة؛

وفي ص ٦٢ و ٢٦٦ ببائية وحائية قال: هما ليس للحبّوبي وإنّما للسيّد موسى الطالقاني، وفي ص ٧٤ هنأ فيها السيّد حيدر مرتضى العاملي وأباه السيّدحسن وأعمامه السيّد إسماعيل ويوسف بحائية.

وص ٨١ هنأ فيها السيّدمحمّد بن محمود العاملي بحائية.

وص ٩٢ موشّحة نونية قيلت بمناسبة قران الشيخ حسين بن طالب البلاغي وتهنئة أخيه الشيخ حسن والد الشيخ جواد.

وص ٩٩ بميمية في تهنئة السيّد جواد الكليدار بقران ولديه السيّد على والسيّد هادي، وفيها ذكر لنجله محمّدحسن الذي ولي السدانة بعده.

وص ١٠٤ بداليّة في مدح الحاج مصطفى وأخيه الشيخ محمدحسن آل كبّة.

٥٠. أعيان الشيعة، ج ٤، ص ١٨٨.
٥١. أعيان الشيعة، ج ٩، ص ١٨١.

و ص ١٠٨ بدالية في الشيخ محمّد حسن آل كبّة.

و ص ١١٦ بسينيّة هنأفيها الشيخ عبّاس بقران ولده الشيخ هادي كاشف الغطاء، وذلك عام ١٣٠٥، وهي [من] آخر شعره كما يظهر.

و ص ١١٩ بقافية راسل بها خاله الشيخ عبّاس الأعسم.

و ص ١٢٣ بنونيّة في تهنئة السيّد جعفر الزوين بقران ابنه عبدالحسين، وذكر فيها أخاه عليّاً وابن عمّه السيّد هادي.

و ص ١٢٩ بتائيّة أجاب فيها صديقة الشيخ محمّد حسن كبّة.

و ص ١٤٤ بقافيّة قيل: إنّها من نظم الحبّوبي والشيخ محمّد حسن آل كبّة بالمشاركة.

و ص ١٤٥ بلاميّة راسل بها الشيخ حسن بن محمّد صالح زاير دهام.

و ص ١٥٠ بعينيّة راسل بها الشيخ محمّد حسن.

و ص ١٥٤ برائيّة في تهنئة أُستاذه الشيخ محمّد طه بقران ابنه الشيخ مهدي.

و ص ١٦١ بقافيّة في معاتبة الشيخ محمّد بن علي الجزائري.

و ص ١٧٦ في تخميس قصيدة للشيخ محمّد حسن كبّة، وقيل للشيخ حسن زاير دهام ومطلعها يائيّة.

وكذلك التخميس التالي في ص ١٧٧ ومطلعها رائية.

وهكذا عينيّة في ص ١٧٨.

و ص ١٨٣ بلاميّة في رثاء السيّد ميرزا جعفر القزويني المتوفّى سنة ١٢٩٨ معزياً والده السيّد مهدي وإخوته ميرزا صالح والسيّد محمّد والسيّد حسين، و ص ١٨٨ بيائيّة في رثاء الزعيم الديني السيّد مهدي القزويني المتوفّى عام ١٣٠٠.

و ص ١٩٦ بنونيّة في رثاء السيّد حيدر الحلّي معزياً السيّد محمّد والسيّد حسين القزوينيان ذاكراً ولده الشاعر السيّد حسين وابن أخيه السيّد عبدالمطلب بن السيّد داوود، وذلك عام ١٣٠٤.

و ص ٢٠٦ بعينيّة في رثاء الميرزا صالح القزويني عام ١٣٠٤.

وهكذا بداليّة ص ٢١١ في رثائه.

و ص ٢١٨ بشينية في رثاء الشيخ أحمد بن عبدالحسين الجواهري، وفيها يعزي أخاه الشيخ علي.

و ص ٢٢٠ بحائيّة في رثاء الشيخ نوح بن قاسم القرشي معزياً الميرزا صالح القزويني.

و ص ٢٣٠ ببائية في رثاء الشيخ جواد بن الشيخ حسين نجف عام ١٢٩٤ معزياً بها أُستاذه الشيخ محمّد طه.

و ص ١٢٣٧ بدالية في رثاء الشيخ حسين بن محمّد آل كاشف الغطاء.

و ص ٢٤٤ و ٢٤٧ بلامية وبائية في رثاء زوجة صديقه الشيخ محمّد حسن كبّة عام ١٣٠٣.

و ص ٢٥١ بعينيّة قرظ بها الرحلة المكيّة لصديقه الشيخ محمّد حسن.

و ص ٢٥٩ برائية شارك بها صديقه الشيخ محمّد حسن.

و ص ٣١٢ بعينية أرسل بها إلى أُستاذه الشيخ موسى شرارة.

وقال الشيخ محمّد السماوي في الطليعة من شعراء الشيعة:

كان شاعراً رقيق الشعر، سهل التركيب، يكاد شعره يذوب رقّة، وقد ترك نظم الشعر؛ لأنّه بلغ الأربعين... ومن شعره في المذهب تخميسه لبيتي الشيخ محمّد حسن كبّة في مدح عليّ عليه السلام:

بعيشك إن ناجت سراك النواجيا ... وللذكوات البيض قُدت المذاكيا

فعرّج على وادي الغري مناديا ... (ألا أيّها الوادي أجلك واديا

تضمّنت ميمون النقيبة حيدرا)

إمام هدىً عمّ البريّة عدله ... أقام بوادٍ فاخر الشهب رمله

فأنت وحقّ المرتجى فيك فضله ... (حقيقٌ لك الفخر الذي ليس مثله

فما الفلك الأعلى يساويك مفخرا)

أخبرني محمّد الحسن بن محمّد الصالح كبّة قال: سألت السيّد محمّد سعيد فقلت له: لم لا تمدح الأئمّة أو ترثيهم؟ فقال: والله ما ذاك إلاّ لأنّي أرى نفسي قاصراً عن بلوغ درجتهم.

ثمّ قال السماوي: «وهذا لعمري شعرٌ فيهم عليهم السلام فذكرته على قلّة ما نظمه؛ لكثرة هذه الكلمات».[٥٢]

وقال جعفر الخليلي في كتابه هكذا عرفتهم في ترجمة ابن أخيه السيّد محمود الحبّوبي:

وكان ديوان شعر عمّه السيّد محمّد سعيد الحبّوبي أوّل عامل عمل في نفسه، فقد كان لهذا الديوان في مطلع شبابنا أثر كبير بحيث لم يوجد شابّ نجفي من الأدباء والمتأدّبين إلاّ وحفظ الكثير من قصائده، بل إنّ كثيراً من هذا الشعر كان ينشد في مجالس العرس ويغنّى به... ويعترف، السيّد محمود بما لديوان عمّه من أثر في صقل شاعريته وتنمية مواهبه، فحينما أصدر الجزء الأوّل من ديوانه سنة ١٩٤٨م أهداه إلى عمّه تحيّة لذكراه، وقال في كلمة الإهداء: «إلى أوّل من حبّب إلى نفسي الأدب ديوان شعره الخالد» ثمّ ختم الإهداء بـ «إلى سيّدي العمّ أهدي ديوان شعري متشرّفاً بهذه النسبة وهذا الإهداء».[٥٣]

١١. جهاده ووفاته:

قال العلاّمة السيّد شرف الدين العاملي في كتابه أجوبة مسائل جار الله عند بيان موثق الشيعة تجاه العدوان البريطاني على البلاد الإسلامية:

إنّ علماء الإمامية يوم دارت رحاها العالمية كانوا في ساحتها من أرسخ المجاهدين قدماً، وأعلاهم هممـاً، وأمضاهم عزيمة، وأشدّهم شكيمة، قد لبسوا يوم القرنة في

٥٢. الطليعة، ج ٢، ص ٢٤٢.

٥٣. هكذا عرفتهم، ج ٣، ص ١٤.

العـراق لامتهـا، وادّرعـوا لها بدرعهـا، وكان فـي مقدّمتهم الإمامـان المجاهدان: الشـيخ فتح اللـه المدعوّ شـيخ الشـريعة الإصفهاني والشـريف الوحيد السيّد محمّدسـعيد الحبّوبي الحسـني، وهمـا يومئذٍ من أجـلّ مجتهدي الشـيعة في العراق، ومن أكبر شـيوخ الإسـلام علـى الإطلاق، وكان الشـيخ قـد أربى على الثمانين، والسـيّد قـد ذرّف على السـبعين، فلم يمنعهما ضعف الشـيخوخ وقـدّة عظمهمـا ورقّة جلدهما عـن قيادة ذلك الجيـش اللهام، والمحتشـد من العلمـاء الأعلام والفضـلاء الكرام، والأبـرار الأخيار من أهل السـوابق في نصرة الإسـلام، وقد أبلوا في الجهاد بلاء حسـناً لم يكن له نظير، حتّـى جاءهم من العدوّ ما لا قبل لهم به، فتحرّفوا للقتال، وتحيّزوا إلى فئتهم يسـتنفرونها للكفاح، فكان ماكان من سـقوط العثمانيين وانجلائهم عن العراق، فقضى الشيخ والسيّد نحبهما أسفاً ولهفاً، فلحقا بالشهداء.[٥٤]

وفي مستدركات أعيان الشيعة عند ذكر تصدّي العلماء للغزو البريطاني في الجنوب:

وقد توزّع المجاهدون بقيادة العلماء على الجبهات المتعدّدة:

أمّـا القلب وهو القرنة فقد رابط فيه السـيّد مهدي [بحر العلوم] مع شـيخ الشـريعة الإصفهاني، والسـيّد مصطفى الكاشاني، والسـيّد علي الداماد، والسـيّد عبدالرزّاق الحلو وغيرهم، ومعهم جموع غفيرة من الجاهدين والقبائل المرابطة.

وأمّا الجناح الأيمن وهو الشـعيبة فقد رابط فيه السيد محمّدسعيد الحبّوبي، والشيخ باقر حيدر، والسيّد محسن الحكيم وغيرهم، ومعهم خلق كثير من المجاهدين والقبائل المقاتلة.

وأمّا الجناح الأيسر وهو الحويزة فقد رابط فيه الشيخ مهدي الخالصي، ومعه ولده الكبير الشيخ محمّد، والشـيخ جعفر، والشيخ راضي، والسيّد محمّد نجل السيّد كاظم اليزدي، والسيّد عيسى كمال الدين وغيرهم.[٥٥]

وفي نقباء البشر و الذريعة:

ولمّا دخل الإنكليز البصرة وأعلنت الحرب العامّة، واشـترك الأتـراك بها ونادوا بالنفير العامّ، سـاهم في ذلك العراقيون، ونهض معظم علماء الشيعة للجهاد، وأفتوا بوجوبه والدفاع عن بلاد الإسـلام ومحاربة الإنكليز، وهاجت عشـائر العراق هيجاناً غريباً، ولـم يكتف المجتهدون بذلك بل خاضوا المعارك بأنفسـهم وهم: شـيخ الشـريعة الإصفهاني، والسـيّد علي الداماد، والسـيّد الحبّوبي، والمولى محمدحسين القمشـهي الكبير، والمولى محمّدحسين القمشهي الصغير، ... والسـيّد أبوالقاسم الكاشـاني ... وغيرهم الكثيرون ... وهناك فريق من العلماء منعهم عن المشـاركة بأنفسـهم عجزهم وهرمهم وتوقّف أعمال الشيعة عليهم فبعثوا أولادهم نيابة عنهم منهم شـيخنا الميرزا محمّدتقي الشيرازي، والسيّدمحمّدكاظم اليزدي ... وقد أبلى الجميع بلاءً حسناً (جزاهم اللـه خير الجزاء).

وكان «الحبّوبي» من أشـدّهم اهتماماً وأكثرهم حماسـاً، فقد قاد جيشـاً جرّاراً، وعسكر به في

٥٤. أجوبة المسائل، ص ٦٤.
٥٥. مستدركات أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٣٣٤.

الشعيبة، وقد بلغ عدده تسعين ألف مجاهد على ما سمعته في تلك الأيّام.

ولمّا اندحرت الأتراك عن مراكزها، وآل أمرها إلى الانسحاب والجلاء عن العراق بعد عراك طويل، واندحر جيشه مع ما اندحر من جيوش المجاهدين في يوم الشعيبة المشهور، عاد «الحبّوبي» إلى ناصرية المنتفك لاستنهاض العشائر وحثّهم على الحرب من جديد، ففاجأه الأجل في الناصرية غصة وكمداً، فحمل إلى النجف بتشييع عظيم، ودفن في الصحن الشريف.

فكان لوفاته في العراق كلّه صدى أسف عظيم، وكان ذلك في أوائل شعبان (ليلة الأربعاء ثاني أو ثالث شعبان) سنة ١٣٣٣، وتسابق أعلام الأدب لرثائه.[٥٦]

وقال الخاقاني في شعراء الغري:

والحبّوبي شخصية ذات تأريخ واسع، وحياة مليئة بالصور والخواطر والبطولات، فقد كان ﷺ إنساناً لم يفهم غير الحقّ هدفاً أسمى، ولا غير الدين ناموساً أعلى، ولا غير الفضيلة نهجاً صحيحاً، فشبّ على ذلك، واستمرّ حتّى شاب وحتّى ارتحل إلى الفردوس الأعلى مشيعاً من الأرواح الطاهرة. إنّ تاريخ الحرب العالمية الأُولى خصّص صفحة مشرقة لجهاد السيّد الحبّوبي، وأفرد فصلاً لبطولته الجبّارة، وعزمه الملتهب في حفظ كيان الإسلام والمسلمين.

وكانت الليلة التي أعلن فيها جهاده وهي السادسة عشرة من المحرّم من عام ١٣١٣، وما أن انتشر الخبر حتّى لحقت به المجموع المحتشدة، والأشاوس الذين نذروا أنسهم لصون كرامتهم ودينهم، يتبعونه وقد قصد الناصرية فاطمأنّ به حتّى تكامل العدد، والتحق به معظم عشائر الجنوب، وسار بهم إلى الشعيبة، المنطقة التي رسخت فيها أوّل قدم انكليزية، ولكن الأطماع والخذلان عصفت بتلك الجموع فشتّتهم، ورجع السيّد مع فريق من المخلصين إلى الناصرية وقد غمرته موجة من الألم على تطوّر نفوذ العدوّ، وما أن لبث أياماً حتّى فارقته الحياة بها.

كان خلال سيره بالجموع ينفق عليهم من ماله الخاصّ، وقد قدّمت له الحكومة العثمانية خمسة آلاف ليرة كمساعدة له على مواصلة جهاده، ولكنّه أبا قائلاً: «ما زلت أملك المال فلا حاجة لي به، وإذا ما نفد فشأني شأن الناس آكل ممّا يأكلون وأشرب ممّا يشربون».

هكذا كان الحبّوبي الرجل الذي أعاد للنفوس الإيمان بالأقاصيص والصور التأريخية التي تُنقل عن الأولياء والمخلصين، وهكذا كان الحبّوبي الإنسان الذي علّم النفوس كيف تصل إلى الحقّ والإخلاص عن طريق التورّع والزهد في حطام الدنيا.... فارق الدنيا وهو لا يأسف على شيءٍ كأسفه أنّه سمع ورأى كافراً يدوس أرض وطنه بصورة فاتح.

مات وهو مرتاح من ضميره بكونه خرج من الدنيا وقد أدّى ما عليه، فلاقى الجزاء الأوفى والجنّات الواسعة، مات -رحمة الله عليه- عشيّة الأربعاء ثاني شعبان من عام ١٣٣٣، الموافق ١٩١٥م في الناصرية، وحمل جثمانه إلى النجف، فكان موته كالصاعقة ذهل منها كلّ مخلص ومتديّن، واستقبلته النجف وهي تبكي عنواناً لها ضاع منها، ودفن في مقبرة خاصّة له في

٥٦. نقباء البشر، ج ٢، ص ٨١٨.

الإيوان الكبير عن يسار الداخل من الباب القبلي، ورثاه جميع الشعراء، وأرّخ وفاته فريق من أعلام المؤرّخين.

ورثاه الشيخ جواد الشبيبي وابنه الشيخ محمّدرضا الشبيبي والشيخ جواد البلاغي والشيخ علي الشرقي.[٥٧]

وقال السماوي في الطليعة من شعراء الشيعة:

توفّي رحمه الله في مركز الناصرية بعد أن خرج من النجف مدافعاً عن حوزة الإسلام إلى الشعيبة بألوفٍ من المجاهدين، فانكسر الجيش فتأثّر بذلك ومرض فمات... وقبره يزار.[٥٨]

وقال صديقه الشيخ محمّد حرزالدين:

وكان من أعيان المجاهدين الذين وقفوا قبالة الإنكليز أعداء الإسلام والإنسانية الذين احتلّوا البصرة في سادس محرّم سنة ١٣٣٣ بالمكر والخداع والرشى لبعض قواد الجيش التركي والرؤساء، ألا شاهت تلك الوجوه ذلاً وصغاراً، وكانت جمهرة من العلماء أيضاً حاملين السلاح إلى جنب المجاهدين في الشعيبة وضواحي البصرة مثل شيخ الشريعة والسيّد على الداماد والشيخ باقر حيدر والسيّد أبوالقاسم الكاشاني والسيّد محمّد نجل الحجة الطباطبائي اليزدي والشيخ محمّدرضا نجل الميرزا محمدتقي الشيرازي وجماعة من أهل الفضيلة والعلم.

توفّي في ناصرية المنتفك عند عودته من الجهاد لمرض أصابه أيّاماً قلائل، وكان في ليلة الأربعاء ٣ شعبان سنة ١٣٣٣ عن عمر ناهز السبعين سنة، وحمل جثمانه الطاهر إلى النجف، وكان وصوله إليها عصر يوم الجمعة ٥ شعبان، فخرج أهل النجف مستقبلين الجثمان، وعطّلت لذلك جميع أسواق النجف، والنجفيّون يردّدون أهازيج الحزن أمام النعش، والعلماء وأهل العلم والوجوه خلفه حتّى أُدخل الصحن الغروي، وأُقبر بعد الغروب بساعة في الإيوان الكبير في جهة القبلة.[٥٩]

وفي تاريخ النجف الأشرف لمحمّد حسين حرزالدين:

في يوم السبت ٢٥/ذي الحجّة/١٣٣٢ قبل الغروب بثلاث ساعات خرج السيّد قاصداً ثغر البصرة، ومعه جماعة من أهل العلم وغيرهم لحثّ العشائر والأعراب على الجهاد، وقد وردت قبل سفره جملة من رسائل برقية من أهل البصرة تستغيث بالعلماء وتطلب منهم النصر.

وفيه أيضاً:

في ضحى ٨/ذي القعدة/١٣٣٣ وصلت إلى النجف الأشرف من بغداد جملة صناديق أنفذت فيها الحكومة العثمانية هدايا إلى مقبرة المجاهد السيّد الحبّوبي وفي ضحى التاسع منه أحضرها المستخدمون باحتفال حافل شهده العلماء والوجهاء، وتليت فيه الخطب في ذكر مآثر السيّد الحبّوبي، وتقدير رجال الدولة له ولأمثاله، وختم بالدعاء، وكانت الهدايا عبارة عن منكبة من الحرير الأحمر مكتوب عليها بالقصب آية الكرسي تطرح في القبر، وتحتها أُخرى من نسيج

٥٧. شعراء الغري، ج ٩، ص ١٤٩ـ١٥١.
٥٨. الطليعة، ج ٢، ص ٢٤٣ـ٢٤٤.
٥٩. معارف الرجال، ج ٢، ص ٢٩٢ـ٢٩٣.
٦٠. تاريخ النجف الأشرف، ج ٣، ص ١٥.

صوفي، ومسرجتين زجاجيتين جميلتين من المسارح التي توقد فيها الشموع.[٦٠]

وفي موسوعة النجف الأشرف للدجيلي والخاقاني:

أحد أعلام الإسلام والجهاد والأدب... سعى إلى تخليص بلاد الإسلام ممّا ألمّ بها من تقاليد الجهل والتأخّر، ولعلّ أبرز صور مشروعة تزعّمه لحركة الجهاد في الشعيبة، حيث انضمّ إلى رايته الرؤساء والزعماء وعلماء الدين فضلاً عن الجماهير لمقارعة الإنكليز عام ١٩١٤م إبّان نزولهم أرض البصرة... كان صادقاً في جهاده، أنفق من ماله الخاصّ على المجاهدين، وأبى استلام خمسة آلاف ليرة ذهبية عرضها عليه العثمانيون الذين تخاذلوا بعد ذلك بل باعوا ضمائرهم إلى الإنكليز واستلموا أموالاً منهم لإفشال حركة الجهاد وهكذا بعض رؤساء العشائر، وقد عمل الإنكليز من خلال هؤلاء على إفشال أكبر حملة جهادية ضدّهم على امتداد تاريخ المستعمرات في العالم كلّه، فتفرّق مئات الآلاف عن معسكر السيّد، الذي تألّم لهذا التخاذل، ولم يتركه من العلماء أحد، فكان هو والعلماء آخر من بقي في معسكر الجهاد، وهناك دعا الله تعالى أن يقبض إليه روحه وأن لا يعود إلى النجف بهذا الحال، فألمّ به المرض، وتوفّي وهو في طريقه إلى النجف في منطقة الناصرية، فحمل جثمانه إلى النجف وبكى عليه البعيد والقريب.[٦١]

وفي كتاب ماضي النجف وحاضرها للبحّاثة الشيخ جعفر آل محبوبة النجفي ـ عند ذكره لحوادث سنة ١٣٣٢ وقيام الحرب العالمية الأُولى ـ قال:

نهض علماء الشيعة في النجف وأفتوا بوجوب الدفاع، فهاجت الشيعة للدفاع وانتظمت الجبهات الحربية وأكثرها من عشائر العراق... ومن العلماء الذين حضروا جبهة الحرب العلاّمة الكبير السيّد محمّد سعيد الحبّوبي، رأيته مسلّحاً يقود جيشاً جرّاراً إلى جبهة الشعيبة، والعلاّمة الحجّة شيخ الشريعة الإصبهاني، والسيّد الكبير حجة الإسلام السيّد أبو الحسن الإصبهاني، والعلاّمة السيد علي الداماد، والعلاّمة الفقيه السيّد محمّد ابن السيّد كاظم اليزدي... وكانوا منصورين إلى أن وقع ما وقع من الويلات ممّا أدّى إلى احتلال بريطانيا بغداد وانسحاب الأتراك، وتوفّي بعده السيّد الحبّوبي واليزدي والداماد حزناً وكمداً، وأُسر خلق كثير من الأكابر والأعيان والفضلاء، وكان احتلال العراق سنة ١٣٣٥.[٦٢]

أقول: ولعلّة قضى شهيداً بالسمّ؛ فإنّ الكثير من النخبة الإسلامية آنذاك في شتّى البلاد قضوا حتفهم على أيدي عملاء البريطانيين المندسّين في صفوف المسلمين، وقد أشار العلاّمة الشبيبي إلى شهادته في قصيدته التي رثاه بها.

وهكذا ختم سيّدنا الحبّوبي حياته في الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الأُمّة الإسلامية وكيانها. فمن الجدير بكلّ مسلم بل كلّ ذي فطرة سليمة أن يهتمّ بإحياء ذكره وتخليد أمره، وخاصّة ونحن نعيش اليوم عصر عزّة الإسلام والمسلمين، واستعادة هويّتهم الضائعة، وأيضاً نحن على مقربة

٦١. موسوعة النجف الأشرف، ج ١٧، ص ٣٩٠.
٦٢. ماضي النجف وحاضرها، ص ٢٤٦.

مـن الذكرى المئوية الأُولى لرحيل هذه الشـخصية الكبيرة، فمن اللازم جـدّاً على الحوزات العلمية والأندية الأدبية والتكتّلات السياسية الجهادية، وخاصّة أُسرته الكريمة، الاهتمام لعقد مؤتمر حوله، ونشر كافّة مابقي من آثاره.

وفـي الختام أودّ أن أذكر أنني قد اسـتفدت من مصادر وكتب شـتّى، وفـي مقدّمتها طبقات أعلام الشـيعة للبحّاثة الكبير للشيخ آقابزرك الطهراني، وأعيان الشيعة للعلاّمة السـيّد محسن الأمين العاملي -رحمهما اللـه-، وكلاهما ممّن عاصرا السيّد الحبّوبي.

ولذكـر نمـوذج مـن شـعره الرائـق اخترنـا مـا وجدناه فـي مخطوطـات العلامة السـيد محمدصادق بحرالعلوم (م ١٣٩٩) بخطّه:

للعلامة السيد محمدسعيد حبوبي -رحمه اللـه- ولم توجد في ديوانه المطبوع:

أدر لـي خمـرة الريـق ... وخالـف كلّ زنديـق

وخالفهـم وإن قالـوا ... بتحقيـق وتدقيـق

وفي موضع آخر: وقريب منه قول العلامة السيدمحمدسعيد حبوبي رحمه اللّه:

شـهدت لي بالهـوى تلـك القدود ... فقضـى الحسـن بتعديل الشـهود

ومذ استشـهدت من تلـك الخدود ... قيـل لـي كـذب وزورٌ مدّعـاك

إنّها مجروحة بالأعين

للسيّد محمّدسعيد حبّوبي موشحاً:

هـزّت الـزّوراء أعطـاف الصّفـا ... فصفـت لـي رغـدة العيـش الهنـا

فـارع مـن عهـدك مـا قـد سـلفا ... وأعـد يـا فتنـة المفتتـن

عـارض الشّـمس جبينـاً بجبين ... لنـرى أيّكمـا سـنى سـنا

واسـب في عطفك عطف الياسمين ... وانثـن غصنـاً إذا الغصـن انثنـى

حبّذالـو قلبـك القاسـى يليـن ... إنّمـا عطفـك كان الألينـا

فانعطـف أنـت إذا مـا انعطفـا ... قـدّك المهـزوز هـزّ الغصـن

إنّ فـي خـدّك روضـاً شـغفا ... مقلـة الرّائـي وكـفّ المجتنـى

* * *

ياغـزال الكـرخ وا وجـدى عليـك ... كاد سـرّى فيـك أن ينهتـكا

هـذه الصهبـاء والـكاس لديـك ... وغرامـي فـي هـواك احتنـكا

فاسقني كأساً وخذ كاساً إليك ... فلذيذ العيش أن نشتركا
انزع الأقداح راحاً قرقفا ... واسقنى واشرب أو اشرب واسقنى
فلماك العذب أحلى مرشفا ... من دم الكرم وماء المزن

* * *

من طلاً فيه الندي ابتسما ... إذ سرت تأرج في نشر العبير
أطلعت شمس سناها أنجما ... من حبابٍ ولها البدر مدير
والسما أرض او الأرض السما ... إذ غدت تاك كهذى تستنير
في ربوعٍ ألبستها مطرفا ... أنمل الزهر من الوشي السّني
وحَمام البشر فيها هتفا ... معرباً في لحنه لم يلحن

* * *

وحميّا الكأس لما صفّقت ... أخذت تُجلى عروساً بيديه
خلتها في ثغره قد عتّقت ... زمناً واعتُصرت من وجنتيه
من بروقٍ بالثّنايا ائتلقت ... في عقيق الجزع أعني شفتيه
كشفت ستر الدجى فانكشفا ... وانجلى الأفق بصبحٍ بيّنِ
أكسبتنا إذ سقتنا نطفاً ... خفّة الطبع وثقل الألسن

* * *

سلّها حمراء من إبريقه ... بسناً تحسبه نار الفريق
وغدا يمزجها من ريقه ... حبذّا مزج رحيقٍ برحيق
رقصت بالدرنّ من تصفيقه ... حباً كالدر في ذوب العتيق
رسب الياقوت فيها وطفا ... فوقه لؤلؤها الرطب السني
ما رآها البرق إلا انشغفا ... بسناها شغف المفتتن

* * *

أنت يا روح المنى روحي فداك ... مسقمي حبّاً ومبري سقمي
أتشكّى لك من سيف جفاك ... لاتبح يا مانع الريق دمي

قد شربتُ الخمر لكن كلُماك ... مارأت عيني ولاذاق فمي
لوبه ابتل غليلي لانطفى ... لا بدمع حرّه أشعلني
كلّما كفكفت منه وكفا ... فوق خدّيَّ وَكيفَ المزن

* * *

أصبحت روحي في مثل الخلال ... إذ تلاشى الجسم في علّته
وأنا أصبحت عن شخصي مثال ... بارزاً للناس في صورته
من رآني خالني طيف خيال ... واعتراه الشّك في يقظته
لاتسلني عن نحولي فجفا ... ناحل الأجفان قد أنحلني
من لذي جسم عليلٍ نحفا ... بالهوى ليت الهوى لم يكن

* * *

من رشاً لمّا تبدّى رائعا ... أشرق افترّ تثنّى نفرا
قمراً تماً وبدراً لامعا ... وقنًا لدنًا وظبيًا أعفرا
أن بدى أبدى الربيع اليانعا ... وعن الزهر المندّي أسفرا
خدّه والصدغ فيه اكتنفا ... وردةٍ محفوفةٍ في سوسن
أوشقيقٍ فوقه الأس ضفا ... أو كمي متقٍ في جوشن

* * *

و هو الديباج زرّته الحسان ... في قميصٍ من حريرٍ أخضر
أو هو الياقوت في عقد الجمان ... ناطه الزنجيّ فوق المنحر
أو هو الجمر ذكاً بين الدّخان ... أو هو الكافور تحت العنبر
أو هو الدينار حين انصرفا ... في يمين الحبشي الأدكن
أو هو المريخ شقّ السّدفا ... وتراءى في الظّلام المردن

* * *

قرّطوه بالثريّا والأثير ... ولووا في جيده طوق الهلال
وكسوه دون موشيّ الحرير ... قمص العزّ وأبراد الدّلال

وجلـوه جلـوة البـدر المنيـر قمراً يشـرق في بـرج الجمال
كسـرويّ الشـكل رومـيّ القفـا يوسـفيّ الحسن صلت المرسن
قلبـه ينحـت مـن صـمّ الصّفـا وجنـى وجنتـه الـورد الجنى

* * *

أنـا آسـاد الشـرى دون الشـرى تتّقينـي فلمـا ذا أتّقيـه
مـن مريـض الجفـن كم قد شـهرا صارمـاً فيـه حمى رشـفة فيه
ودمـي طُـلّ لديـه هـدرا أتـراه إن ودى القتلـى يديـه
مالـه سـاق لجسـمي التلفـا أهو في شـرع الهوى لم يضمن
لاتقـل يحكـم فينـا جنفـا إنّـه أدرى بهـدي السـنن
وافـر الأرداف أبـدت نقصـه بدقيـق الخصر إذ رجّـت لديه
ماتأمّلـت بعينـي شـخصه غيـرةً مـن نظـرة العيـن عليه
ولـو اسـطاعت لكانـت قمصـه أعيـنٌ مـا نظـرت إلاّ إليـه
إنّهـا منـذ تولّـى وجفـا هجـرت حتّـى لذيـذ الوسـن
أنـا أهـوى أن يراهـا مألفـا لتقيـه أعينـي مـن أعينـي

* * *

ملـكٌ بالحسـن أضحـى معجبـا وهـو لايحكم إلاّ فـي القلوب
إن جنـى ذنبـاً تجنّـى مُغضبـا ولـه مـن ذنبـه نحـن نتـوب
مـن رأى قبلـك يـا غصـن الصبا مذنبـاً يجـزي بريّاً مـن ذنوب
قلـت إذ مـرّ بقـدٍّ أهيفـا ومـن الدهشـة مـا يخرسـني
أيّهـا السـاكن قلبـي مألفـا كيـف ترضى بحريق المسـكن

* * *

فاحـدِ بالركـب إذا الركـب حـدا فيـه يومـاً وأَقـم مـا ان أقـام
يممّـن نجـداً إذا مـا أنجـدا وإذا أتهـم فالمسـرى تُهـام
وهـو إن يشـهد فـأُمّ المشـهدا وسـلامٌ لـك مـن دار السـلام
إن ثـوى جسـمي فحـلّ النجفـا ففـؤادي عندهـم لـم يظعـن

ايـن مـن حلّـوا بجمـع والصفـا ... مـن مقيـمٍ بالغـريّ الأيمـن

* * *

أيّهـا العـذّال كفّـوا عذلكـم ... بالهـوى العذري عذري اتّضحا
وامنحـوا يا أهل نجـدٍ وصلكم ... مسـتهاماً يتشـكّى البرحـا
(واذكرونـي مثل ذكـراي لكم ... ربّ ذكـرى قرّبت مـن نزحا)
الوفـا يـا عُرب يـا أهـل الوفا ... لاتخونـوا عهـد مـن لـم يخن
لاتقولـوا صـدّ عنّـا وجفـا ... عندكـم روحي وعنـدي بدني

* * *

أنـا مـا حوّلـت عنكـم شـغفي ... لاولا من سكرتي فيكم صحوت
عنكـم لـم أسـلُ فـي شـيءٍ وفي ... قربكم عن كلّ شـيءٍ قد سلوت
ليـس فـي الدنيـا صفـيٌّ أو وفـي ... أنـا قـد جرّبت جيلـي وبلوت
فلكـم جُبـت إليكـم نفنفـا ... طالبـاً أوطانكـم مـن وطنـي
فحفـت عيسـي ومـن بعـد الحفا ... لـم تجـد بالربـع غيـر الدمـن

* * *

يـا معيسـيل اللّمـى خـذ بيـدي ... أنـا فـي حبّك مشـبوبٌ غريق
بـتّ أستسـقي بدمعـي كبـدي ... كيف يُستسـقى حريقٌ بحريق
فخـذوا دمعـي وردّوا كمـدي ... ليس لـي فيكم رفيـقٌ أو فريق
أسـفاً مـن أهـل نجـدٍ أسـفا ... كيـف أهواهـم وهم مـن زمني
وإذا نبـت البطـاح اختلفـا ... غلب الشّـوك على الورد الجني

* * *

لاتخـل ويـك ومـن يسـمع يخل ... أنّنـي بالـرّاح مشـغوف الفؤاد
أو بمهضـوم الحشـا سـاهي المُقل ... أخجلـت قامتـه سـمر الصعاد
أو بربّـات خـدورٍ و كلـل ... يتفنّـنّ بقـربٍ وبعـاد
إنّ لـي مـن شـرفي بـرداً ضفـا ... هـو مـن دون الهـوى مرتهني
غيـر أنّـي رمـت نهـج الظرفـا ... عفّـة النفس وفسـق الألسـن

وله أيضاً رحمه الله:

شمس المحيّا تجلّت في يد الساقي ... فشعّ ضوء سناها بين آفاق
سترتها بفمي كيما تنمّ بنا ... فأجّجت شعلةً ما بين آماقي
تشد و أباريقها بالسكب مفصحة ... بشرى السّليم فهذي ريقة الراقي
خذها كواكب أكوابٍ يشعشعها ... مايحتسي الطرف من أقداح أحداقي
تسعى إليك بها خود مراشفها ... أهنى وأعذب ممّا في يد الساقي
ما شاك عقرب صدغيها مقبّلها ... إلاّ ومن ريقها يُرقى بدرياقى
مسودّة الجعد لولا ضوء غرّتها ... لما هدتنى إليها نار أشواقي
يهدى إليك بمرآها ومسمعها ... جمال يوسف في ألحان إسحاق
هيفاء لولا كثيب من روادفها ... فرّ النطاقان من نزعٍ وإقلاق
ماهبّت الريح إلاّ استمسك بيدي ... تِربٍ لها واعتراها فضل إشفاق
قالت خذي بيدي فالريح قد خفقت ... تهدّني بنسيمٍ هبّ خفّاق
جال الوشاح بكشحيها متى نهضت ... تسعى إليك وضاق الحجل بالساق
لاتلبس الوشي إلاّكي يُزان بها ... كما يزان سواد الكحل بالماق
تزيد حسناً إذا ما زدتها نظراً ... كالروض غبّ رفيف القطر مهراق
تلك التي تركت جسمي بها مرضاً ... وحرّضت كي تذيب القلب أشوافي
واستجمعت واثقات الحسن فاجتمعت ... لها المودّة من قلبى وأعلاقي
ضممتها فتثنّت وهي قائلة ... بالغنج رفقاً لقد فصّمت أطواقي
رقّت محاسنها حتّى لو اتخذت ... عرشاً بناظرتي لم تدر آماقي
وبت أُسقى وباتت و هي ساقيتي ... نحسو الكؤوس ونسقي الأرض بالباقي

وله أيضاً رحمه الله:

لست للرّاح صاحباً ورفيقا ... فدع الكأس لاتدر لي رحيقا
واسقنى من لماك علّي فعلّي ... من لماك الشنيب أن لا أفيقا
وأدر يا فداك أهلي ونفسي ... مبسماً ضمّ لؤلؤاً وعقيقاً
يشبه الشّهب في ثنايا عذاب ... تستعير البروق منه البريقا

قلت للرّيح لا أُباً لك هلاّ ... جزت بالجزع عالجاً وعقيقا
فلنا بالعقيق من أرض نجدٍ ... رشأٌ قد أذاب قلبي حريقا
هو يلقى من الهوى مالقينا ... فلقد كان عاشقاً معشوقا

وله أيضاً -رحمه الله-:

لا تدرلي أيّها السّاقي رحيقا ... أنا من خمر الهوى لن أستفيقا
ورشيق القدّ قد أرشفني ... في مغانى لهوه خمراً وريقا
قدّه والردف غصنٌ ونقىً ... يستقلاّن كثيباً ورشيقا
في رياض خلت من أزهارها ... وجنتيه جلّناراً وشقيقا
فلأمّ اللائم الويل إذا ... لامني فيها وإن كان صديقا
عذ لوا فيك ولو لحت لهم ... عدلوا فيك وما ضلّوا الطريقا
أو أنسى لاومن تيّمني ... لك في عهد الصِبا عيشاً رقيقاً
أخذت منّي معاني حسنه ... للهوى إي والهوى عهداً وثيقا
أيّها الرّاكبها زيّافةً ... تقطع البيد عنيفاً وعنيقا
عج على الزّوراء واحبس ساعةً ... فاليها تقطع الفجّ العميقا
وعلى الكرخ فسلّم إنّ لي ... رشأ في ذلك الحيّ عشيقا
ماج ماءالحسن في وجنته ... فغدى في موجه الخال غريقا
يا لجيران الحمى قد أكسبوا ... كبدي صدعاً وساموها حريقا
أسروا قلبي وأجروا مدمعي ... فأنا أشكو أسيراً وطليقا
لي دموع صبغتها زفرتي ... فجرى لؤلؤها الرطب عقيقا

وله مشاركاً بها الحاج محمدحسن كبّه البغدادي، ورسمنا على ماهو للحاج برسم (م)
وما غفلنا عنه فهو للسيد:

هل سلا عاشقٌ سواي فأسلو ... والتأسي في شرعة الحب يحلو
م لا وإلفي ما راق عيني إلاّ ... أعينٌ تخجل المها روهي نجل
م هي مرضى وما بهنّ سقامٌ ... وهي كحلا وليس فيهنّ كحل
م زججت حاجباً لنا وهو قوسٌ ... ورمتني بلحظها وهو نبل

م يـا حبيبـاً أدال صدغيـه حسـن ... وقضيبـاً أمـال عطيفـه دلّ
م رشـق قلبـي بسـهم لحظـك جورٌ ... واقتطافـي مـن ورد خدّيـك عـدل
م ووصالـي إن كان عنـدى صعـب ... فحِمامـي مـذ بنـت عنّـي سـهل
يـا هـلالاً وارى البعـاد سـناه ... عـن عيـونٍ فمالهـا تسـتهلّ
ولقـد أبكـت الحمامـة عينـي ... فهـي تملـي وأدمعـي تسـتملّ
ولقـد شـاق لحـظ عينيـك قلبـي ... ومتـى شـاق قلـب جرحـاه نصل
م أنـا حرّمـت فـي هـواك رقـادي ... لـمَ يامنيتـي دمـي تسـتحلّ
م ارويـا لـي حديـث ريـم زرودٍ ... يـا نديمـي إنّـه لايمـلّ
م واسقياني على اسـمه العذب راحاً ... إنّ راحي على اسـمه العـذب تحلو
كتـب الذكـر نصـب عينـي كتابـاً ... مـن معاينـه لـم أزل فيـه أتلـو
يـا عُريبـاً بيـن الرصافـة والكـرخ ... أقامـوا لابـل بقلبـي حلّـوا
كـم هجرتـم وكـم وصلتم مشـوقاً ... وكـذاك الزمـان هجـرٌ ووصـل
م ولكـم بالجفـا قتلتـم محبـاً ... وكـذاك الهـوى حيـاةٌ وقتـل
لـي مـا بيـن سـربكم ريـم سـربٍ ... لحـظ عينيـه صـارمٌ لايفـلّ
بخـدودٍ بيـضٍ وسـود جعـودٍ ... هـو طـوراً يهـدي وطـوراً يضـلّ
إن يكـن ثغـره المبلّـج بـرقٌ ... فحنينـي رعـدٌ ود معـي وبـل
أحرقتنـي تلـك الأسـيلات لولـم ... أك فـي ظـلّ جعـدة أسـتظلّ
ولقـد سـاب كانسـياب الأفاعـي ... فـوق متنيـه فاحـم اللـون جثـل
أيّهـا العاقـد لنطـاق بقلبـى ... لـك فـي القلـب عقـدة لاتحـلّ
لاترعنـي بسـيف جفنـك سـلاًّ ... إنّ روحـي تسـلّ مهمـا يُسـلّ

والحمدللّه أوّلاً وآخراً